






# مقام رفيع




منشورات مكتبتي الخاصة

# الروايات الاجتماعية

٢٣

جمال شاهين

٢٠٢٥




# مقـام رفيع

٨

# منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

# مقام رفيع

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



## شارع سيدو عدنان

## ٨

القدر مكتوب هو علم الله وخلق الله ، لم افكر أو احلم ساعة بأن أكون وزيرا للمعارف والتعليم في يوم ما .. أنا ابن أسرة محافظة كما نوصف اليوم أي أسرة متدينة تحافظ على شعائر الدين وتقاليده وعاداته .. كنت مبتعدا عن صغائر الأمور والعلاقات النسوية منذ وعيت حياتي المدرسة الكتاب المسجد البيت .. فضلت الالتحاق بكلية اللغة العربية وكان لي ذلك في جامعة مهمة في بلدنا جامعة الصديق أبي بكر .. استمتعت بدراسة العلم ، لم اهتم بأي علاقة مع فتاة جامعية سواء جادا أم لاهيا .. تحمست لتقوية نفسي بتعلم لغة الإنجليز فهي لغة عالمية ومهمة اليوم ؛ وكان من نتيجة ذلك دراسة الدكتوراه في بريطانيا في الأدب التربوي من خلال الأدب الإنجليزي .. ونتج عن الغربة الزواج من امرأة إنجليزية مسلمة أنجبت لي عبد الله ثم ماتت بحادث جامعي ، وعدت للوطن بدونها ، ثم تزوجت ابنة صديق لأبي بضغط من أبي ، وبعد وفاة أبي وأبيها عينت وزيرا .. والفضل لله يؤتيه من يشاء .. أخوكم ساري عبد المؤمن




# مقام رفيع

**جمال شاهين**

## شارع عثمان

كان الفتى ساري عبد المؤمن طالبا في مدرسة ثانوية عبد الله بن عباس ، وهو معروف بالتدين والارتياد الدائم لمسجد الحي لصلاة الجماعة، ويستمع لدروس الإمام الدينية أو لوعاظ يرسلون لوعظ الناس من دائرة أوقاف المنطقة ، ذات يوم وهو يخرج من بوابة المدرسة ماشيا للبيت في



شارع سيدنا عثمان بن عفان ، وسمي الحي باسمه حي سيدي عثمان ، وحتى المسجد سمي بذلك ؛ وربما الشارع سمي على اسم المسجد ، والمسجد يبعد عن منزل ساري ما يقارب مائة متر ، لما ابتعد عن البوابة المدرسية حوالي مائتي متر وكان يمشي وحيدا نحو حي السفاح ومنه لحي عثمان تقدم منه طفل يقدر بسبع أو ثماني سنوات ، وقدم له رسالة في ظرف رسائل فاستغرب الشاب وقال : ممن ؟

قال : فتاة دفعتها لي وطلبت مني توصيلها إليك بعد أن أشارت إليك وأعطتني هذا . وفتح يده فكان فيها عشرة قروش .

استغرب الطالب ساري ابن الثالث ثانوي الفعل ، وتلفت يمينا ويسارا وخلفا وأماما فلم ير أنثى تمشي في الشارع ، الشارع كله طلبة مثله ، فاضطر أن يضع الرسالة الغريبة في جيبه ويشكر الولد ، وانصرف الطفل كأنه قام بالواجب ، وتابعه ساري ليعرف إلى أين يذهب ويتجه ؟ ورآه يدخل دكانا فراقب وقال لنفسه : لعل الفتاة في الدكان !

خرج الطفل يحمل ما اشتراه بالقروش العشرة ، وتابع مسيره في الشارع وحده ، فانشغل باله فعلا بالرسالة التي حملها الطفل ؛ فهو ليس له علاقات رومانسية مع فتيات الحي ولا فتيات المدارس حيث يذهب بعض الطلبة اتجاه ثانوية البنات لمعاكسة الصبايا ، ويتراسلون ويتبادلون أشرطة الأغاني ، كان الشاب كالمصدوم والمذهول ممن فعلت به تلك الفعلة الشيطانية في نظره وكيف استغلت سذاجة الطفل ليوصل له الرسالة ؟ ولكنه تساءل : أنا لا ادري ما فيها.. هل

رأى احد أو انتبه لم فعل الطفل معي ؟!

كان المشهد كالذي ينظر إلى أفعى سامة تريد لسعه فما صدق أن وصل البيت ؛ ليقرأ لمَ إحداهن كتبت له رسالة .. كان اصعب شيء في حياته أن يتكلم مع فتاة حتى ولو كانت قريبة حتى أن أهله يحتارون من احمرار وجهه لو سلمت عليه ابنة خال أو خالة أو عمة أو عم حتى لو سلمت كلاما مجرد كلام بدون مصافحة ؛ لأنه شاب ملتزم منذ الصغر يقال .

دخل غرفة نومه في الطابق الأعلى ، وجلس على كرسي مكتبه الصغير، فهو على وشك إنهاء الثانوية العامة الفرع الأدبي ، الطلاب بعد إنهاء المرحلة الإعدادية ينتقلون لعدة دراسات متنوعة حسب رغباتهم وعلاماتهم المدرسية ، فمنهم من يذهب للفرع الثانوي العلمي ؛ ليتمكن من دراسة الطب والصيدلة والتمريض وأي تخصص آخر ، فهو الطالب الأكثر اختيارا في دراسة الجامعة ، والطالب الأدبي يدرس تخصصات كلية الآداب والأعمال والشريعة ما عدا الدراسات العلمية الخاصة بطلبة الفرع العلمي ، وهناك الفرع التجاري والفرع الصناعي والتمريضي والشرعي والزراعي والمهني والسياحي مع الفندقي ، وكان الطالب ساري عبد المؤمن من طلاب القسم الثانوي الأدبي .

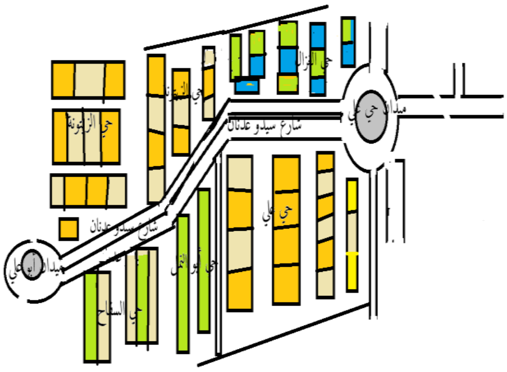
كان مترددا في قراءة الرسالة وخائفا ومنزعجا لا يرغب بمعرفة كاتبتها فقال لنفسه : هل هي حقا من أنثى ؟ ومن هي ؟ وما بيني وبينها ؟

الغرفة لا احد فيها حتى الآن إلا هو ، فتجرأ بعد تردد ونظر الظرف لا شيء كتب عليه لا المرسل ولا المرسل اليه ، ولم يكن مغلقا فاخرج منه ورقة صغيرة ورقة دفتر مدرسي مقصوصة بحجم صغير .. مكتوبا فيها سطر واحد من بضع كلمات .. هل الحب حرام ؟؟؟ ثلاث كلمات وثلاث علامات استفهام

بعد دقائق صمت وصفون أعاد الورقة للمظروف ووضعه في درجه الخاص بالمكتب ، فالمكتب له شريك فيه أخته الأصغر منه بسنتين رضوى ولما احتفظ بالرسالة الغامضة قال : هل الحب حرام ؟ عن أي حب السؤال ؟! عن حب الله حب الرسول ﷺ حب الأم حب الأب حب

الأخوة والأهل والمسلمين.. لمن موجه السؤال ليجيب عليه ؛ بل من هو السائل ؟ ثم قال : أظن أن لهذه الرسالة الغامضة والخبيثة حكاية ستظهر قرب الزمن أو بعد .

***




ساري يسكن في شارع عثمان احد شوارع حي السفاح احد الأحياء الكبيرة المطلة على شارع سيدو عدنان ، والبيت يتكون من طابقين تعيش فيه أسرة عبد المؤمن اسعد وزوجته الطبيبة طاهرة هود التي أنجبت له ستة مواليد البكر رشا وبعدها رشيد ورحمة ، ثم ساري ورضوى والأصغر رضا ، وبين الواحد والأخر سنتان ، وكلا الزوجين متدين وملتزما بالإسلام منهجا وسلوكا مع تفاوت بسيط لكونهم بشرا ، ومسجد سيدنا عثمان يبعد عن بيتهم ما يقارب المائة متر ، لم يكن المسجد كبيرا فهو مسجد يتسع لحوالي ثلاثمائة مصلي تقريبا ، وملحق بالمسجد مدرسة لتعليم القرآن لأهل الحي ذكورا وإناثا ، وملحق بالمسجد سكنا لإمام المسجد ابن الخمسين سنة ، وهناك غرفة خاصة بخادم المسجد كاستراحة له أثناء النهار والطابق الأرضي تحت السكن مبنى يخص لجنة إدارة المسجد ولجنة جمع الزكاة حيث تجمع الزكوات المالية والعينية لتوزع على فقراء الحي خلال فصول السنة الأربعة ، وكان السيد عبد المؤمن من أعضاء الإدارة والزكاة كمتطوع كسائر أعضاء اللجنة ، وللمسجد مؤذن يأتي من شارع آخر في حي السفاح .

لقد كان الشاب ساري وأخوته من الطبيعي أن يكونوا من فتيان المسجد من سن الصبا ، وكان واضحا أنه اكثر إخوته تدينا وقراءة لكتب الدين المتوفرة في البيت أو المسجد أو حتى مدرسة ابن عباس الإسلامية ، لم تكن مدرسة حكومية كانت مدرسة أهلية خاصة .

كان الشاب كما سبق الحديث محبا لمجالس الشيخ الإمام ودروسه اليومية في المسجد وسماع

الكثير من خطبه ، وكان المسجد أيضا يتردد عليه وعاظ من دائرة أوقاف المنطقة حسب جدول وعظهم ، وكان مستمعا اكثر منه مناقشا ، فمن النادر أن يجادل أو يناقش في شيء سمعه منهم ليس تكبرا ولا غرورا ؛ بل يقول لنفسه كما علمه والده لعل مصدر معلومته غير مصدر معلومتي فلذلك اختلف الكلام ، فكما هو معروف للمطلع الفهيم نتيجة اختلاف علماء الفقه والأصول فكثيرا ما تختلف الأجوبة ، فمثلا هل النوم ينقض الوضوء ؟ هناك أقوال وفتاوى متنوعة ؛ وليس كل مستمع قادر على الاختيار والترجيح ، فمنا من يتولى قول الشافعي وآخر يأخذ بقول الحنفي .

بعد أيام نسي الشاب امر الرسالة الغريبة والطفل الغريب ؛ ولكنه يكاد أن يكون موقنا أن للرسالة ما بعدها هل الحب حرام ؟هل يقصد حب الفتيات والمراهقات ؟

***

نجاح ساري في الثانوية كان متوقعا لا يشك فيه احد من أهله ومن أقاربه أو من مدرسيه ؛ لكن كانوا يأملون أن يحقق معدلا تراكميا عاليا ، وحصل في النهاية ٨٩ درجة على مستوى الفرع الأدبي في القطر كله ، وغمر الفرح الأسرة ومحبيه من الزملاء ومن الجيران واهل المسجد ، وكان يحلم الشاب كما هو معلوم في البيت ومن المقربين بدخول كلية الآداب لدراسة الآداب العربية ولغتها ، وكان له ذلك عند نشر أسماء المقبولين في جامعة الصديق أبو بكر من اهم جامعات المدينة القطرية .

*تتضمن كلية الآداب في الجامعات العربية غالبا عدة أقسام وتخصصات ، منها :اللغة العربية وآدابها، التاريخ، الفلسفة، علم الاجتماع ، الجغرافيا، علم النفس ، العمل الاجتماعي، والصحافة والإعلام والاتصال الرقمي .*

*قسم اللغة العربية وآدابها: يركز على دراسة اللغة العربية وآدابها عبر العصور ، ويهدف إلى تطوير المهارات اللغوية لدى الطلاب للنطق بالفصحى أو ما يقاربها .*

*أما قسم التاريخ: فيغطي التاريخ القديم والحديث والمعاصر ، ويهتم القسم بدراسة الحضارات*

والثقافات المختلفة . . وقد يخرج مدرسا لمادة التاريخ .

وقسم الفلسفة: يدرس الفلسفة الغربية والإسلامية ، ويسعى إلى تنمية التفكير النقدي لدى الطلاب فالفلسفة حب الحكمة .

أما قسم علم الاجتماع: فهو يدرس الظواهر الاجتماعية المختلفة التي تظهر في مجتمع معين والسعي إلى فهم الظاهرة أو الظواهر وأسبابها ومآلاتها ، ويهدف إلى فهم سلوك الأفراد والمجتمعات .

قسم الجغرافيا: فيدرس البيئة الطبيعية والبشرية، ويستخدم نظم المعلومات الجغرافية في التحليل والأطالس الجغرافية ورسمها وتدرسها للطلاب في المدارس

قسم علم النفس:يدرس سلوك الإنسان وعملياته العقلية ، ويهتم بفهم الصحة النفسية والعقلية .

قسم العمل الاجتماعي: يركز على مساعدة الأفراد والمجتمعات على التغلب على المشاكل الاجتماعية ، ويقدم خدمات الدعم والتدخل الاجتماعي .

وأما قسم الصحافة والإعلام والاتصال الرقمي: يدرس الإعلام بأنواعه المختلفة راديو تلفزيون صحف المرئي والمقري ، ويهدف إلى تطوير مهارات الطلاب في مجال الصحافة والإعلام والاتصال الرقمي .

وغير قسم اللغة العربية وآدابها، هناك قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، قسم اللغة الفرنسية وآدابها، قسم اللغات الشرقية وآدابها ، ، قسم المكتبات والمعلومات ، قسم الآثار، وقسم الدراسات المسرحية .

هذه التخصصات يمكن لطالب كلية الآداب أن يتخصص في قسم واحد منها لنيل درجة البكالوريوس فيها ، وكان اختيار ساري القسم الأول اللغة العربية وآدابها ، ويبدأ العام الدراسي في مطلع شهر أيلول ومطلع فصل الخريف ، وسيحتاج على الأكثر إلى اربع سنوات قد تقل لنيل الدرجة العلمية الأولى، وعليه أن يجتاز اكثر من مائة وثلاثين ساعة دراسية مقسمة

*على أقسام وهي : تخصص اللغة العربية وآدابها في معظم الجامعات يتطلب عادةً ١٣٢ ساعة معتمدة للحصول على درجة البكالوريوس.. هذه الساعات موزعة على ما يسمونه متطلبات الجامعة، ومتطلبات الكلية، ومتطلبات التخصص (الإجبارية والاختيارية) .*

*متطلبات الجامعة: تتضمن مواد إجبارية واختيارية، وعادة ما تكون في قسم اللغة حوالي ٢٧ ساعة معتمدة.*

*أما متطلبات الكلية: فتتضمن مواد مشتركة بين أقسام الكلية، وعادة ما تكون حوالي ٢٤ ساعة معتمدة.*

*متطلبات التخصص وهي الأهم وهي مجال قسم اللغة خاصة ، وتتضمن مواد إجبارية واختيارية في اللغة العربية وآدابها، وتكون حوالي ٨١ ساعة معتمدة .*

*متطلبات الجامعة: قد تشمل مواد مثل اللغة الإنجليزية، والعلوم العسكرية ، ومواد أخرى تختارها الجامعة .وسياتي بيانها لتعرف الجهد الذي يحتاجه الطالب والعلم الذي يناله خلال سنوات الكلية .*

*متطلبات الكلية: قد تشمل مواد مثل اللغة العربية (١) واللغة العربية( ٢ )*

*متطلبات التخصص: قد تشمل مواد مثل الأدب الجاهلي ، والأدب في العصر الإسلامي والأموي ، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم العروض، والنقد الأدبي، والبلاغة العربية، ومناهج النقد الأدبي الحديث، وغيرها ..كما سيتضح لاحقا .*

*تختلف الخطط الدراسية بين الجامعات، لذا يفضل الرجوع إلى الخطة الدراسية الخاصة بالجامعة التي يدرس بها الطالب .*

***

إذن على الطالب في الآداب النجاح في كل ما ذكر ليصبح حاملا لشهادة اللغة العربية من جامعة الصديق أبو بكر ، وقبل أن نمشي معه سنة أولى جامعة نتحدث عن بداية تدين ساري ، فوالد ساري عمل حوالي عشرين سنة في التدريس كمعلم ومدير ، ثم تقاعد وانشأ مدرسة أهلية

خاصة مع فريق من الأثرياء والأصدقاء الذين عرفهم خلال سنوات العمر وكانت المدرسة قرب شارع قريب من شارع سيدو عدنان ، سميت مدرسة عبد الله بن عباس تقبل التلاميذ من السنة الأولى حتى آخر سنة ثانوية ، فهي ثلاثة مبان منفصلة عن بعضها ؛ ولكنها في مساحة واحدة ، وكان يديرها عبد المؤمن اسعد وصديق له اسمه حسان واد زميل تعليم له ، وفيها كادر ممن خدموا معا في المعارف التربوية .

كان الرجل ملتزما بالدين ظواهره وبواطنه ، فلذلك سعى أن يزرع التدين في ذريته كما زرعها والداه فيه ، ولم تكن زوجته الطبيبة اقل منه حبا للتمسك بالدين والخلق الديني ، فكانت تربية ساري تربية موجهة بفهم وعلم ودراية ، فتعلم الصلاة الفروض الخمسة منذ الطفولة المبكرة فكان يذهب به والده إلى المسجد كثيرا حتى تعلق به واحبه لم ينتظر للسابعة حتى ينشط في تعليمه الصلاة كما ارشد الحديث النبوي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ . لقد قام بتعويد ساري وسائر الأفراد على التردد على المسجد حتى الفتيات وهن صغيرات أخذن حظا من ذلك ، وأيضا تعلم الفتيان والفتيات الصوم صغارا وأطفالا وكما قيل "العلم في الصغر كالنقش في الحجر" هو مثل عربي قديم يُستخدم للتعبير عن أهمية اكتساب المعرفة والمهارات في سن مبكرة.. يشبه هذا المثل العلم المكتسب في الصغر بالنقش على الحجر، حيث يكون دائمًا وثابتًا، على عكس العلم الذي يُكتسب في الكبر والذي قد يزول أو يمحى بسهولة .. وهناك اثر صحيح في أهمية التربية في السن المبكرة قوله ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ».

فكان الأب وهو المدرس ومربي الأجيال يهتم بتنشئة أفراد العائلة على فهم الدين والأخلاق الحسنة بكل حس تربوي وديني ، ونجح مع ساري نجاحا موفقا حتى وصل مرحلة الجامعة واصبح شابا مسئولا عن نفسه وعارفا الخطأ والصواب ، فلذلك لم يهتم الفتى بزيارة المسارح ودور السينما وقصص الحب والإغواء كما يتحدث زملاء الصف والمدرسة ، كان يعرف هذه الأشياء الفاسدة سماعا ومن الصحف والكتب التي يتصفحها أو يسمعها من دروس وتعليقات

الشيوخ وفتيان المسجد ، فلم تحبب إليه هذه السخافات .

كان ساري يكبر ويزداد هوى في تعاليم الدين وتلاوة الكتاب ، وأيضا أم رشيد أمه كانت تشارك الأب في التوجيهات للأبناء خلال مراحل الحياة وأثناء الانتقال من مرحلة لأخرى كانت حياة الأسرة كحياة الأسر الصالحة الذين يجعلون الحلال والحرام ميزان يومهم وجمعتهم وشهرهم وسنتهم وكل عمرهم ، عند البلاء يتحملون ويصبرون ويسترجعون لأن نكبات الدهر لا تقف عند احد دون الآخر ، فالكل يمرض ويشفى ويسعد ويشقى .

فهم الأب وألام الصالحان يعتبرون وصول الشاب للجامعة أو سوق العمل قد وصل لشاطئ الأمان ، وسيبدأ الاستعداد للاستقلال بحياته الاجتماعية رويدا رويدا ، ويصبح الشخص له أهدافا خاصة به يسعى إلى تحقيقها مثل الزواج وامتلاك سكن انتظار الأطفال ليتابع المسيرة بهم كما تابعه والداه .

انهى ساري الثانوية بمعدل أهله لدراسة اللغة العربية التي احبها من صغره ، وكان متفوقا فيها على الكثير من أقرانه ، الكليات الجامعية في غالب بلدان العالم تحوي طلبة من الجنسين ، وذلك في غالب الجامعات العربية والإسلامية قبل جامعات العالم الأخرى ، فكان على ساري أن يتكيف مع الاختلاط الطلابي والذي كان يزعجه كثيرا تصرفات وأفعال الطالبات تشعر بأنهن لم يحضرن للجامعة إلا لعرض ملابسهم ولحمهن ، ليس في الجامعة ملابس موحدة كما يحصل في المدارس أو المصانع ، ولا يستطيع الطالب مهما كان متدينا في مجتمع كهذا أن يغمض عينه باستمرار ، وليست الملابس فقط هي المزعجة لشاب متدين ، فكثير منهن بضعن المكياج من تلوين وطلاء الشفاه وبعض المكياج ، فسأل مرة زميلا عن سبب انتشار ذلك فضحك المسئول وقال : يا زميلي هو أنت تظن أن كلهن جئن لأخذ الشهادة فحسب .. فبعضهن جئن لأخذ عريس أو التسلية يوما مع ذا وآخر مع ذاك .. الحب هكذا يسمونه يا زميلي الشيخ .. هل عمرك أحببت فتاة في ماضيك يا ساري ؟ لا أظن ذلك .

ـ لا ، لم افكر ساعة بالجلوس مع فتاة ممن تشير إليهن .. أنت فعلت مثل ذلك!

ضحك الشاب كثيرا : يمكن أن أصدقك يا ساري من سذاجة سؤالك عن تحمير الشفاه وتزويقها بالأحمر والأسمر .. أنا عرفت مثل تلك المفاسد ؛ ولكنها قصص حب قصيرة

تذكر ساري الهادئ رسالة الثانوية العامة فسأل زميله : هل الحب هذا حلال أو حرام ؟

قال الزميل : اسمح لي بالدخان قبل الرد

واشعل سيجارة قبل أن يسمح له ؛ إنما هي مجاملة ولما سحب بعض الأنفاس الدخانية قال : الشيوخ مثلك ومثل عزيز يحرمون هذا الحب ، ويكبرون ويضخمون الأمر ويعتبرونه اعتداء على الأعراض ؛ كأن الرجل ارتكب حدا من حدود الدين

قال ساري باسما : هل ترضاه لأختك ؟ أن تراها تحب ابن الجيران وابن الشارع

صدم الزميل للتمثيل ورد : صدق لو عرفت قد اغضب ؛ ولكن عادة الفتيات يخفين العلاقة العاطفية عن أهليهن ..نحن في حي أو مجتمع يراه مقبولا من الذكر ومحرما على الإناث.. هذه هي المعضلة لكن في الجامعة الاختلاط لا مفر منه .. هل تستطيع يا شيخنا الصغير أن تنجو؟

ـ سأنجو منه بحول الله وليس بحولي .. سأجتهد كما اجتهدت لحتى الآن .. الفتاة التي تقترب مني أصدها فتلتقط غيري اعرف هذا .. وهل يمكنني تربيتها أو نصحها في كلية مختلطة؟ .. نسأل الله السلامة .. يا صديقنا المحترم

ـ والله من كل قلبي أتمنى أن تفوز ولا تضعف أمام معرض الأزياء واللحم المكشوف .. سنسمع الكثير من الحكايات كما سمع الذين من قبلنا

ـ ستمضي السنون كما مضت سنوات الابتدائية والإعدادية والثانوية

ـ صحيح ستمضي .. اذا ذهبت لشراء كوب شاي ستجد في وجهك صبايا .. اذا ذهبت للمكتبة ستجد من تجلس قريبا منك .. ها نحن نعيش زمن الاختلاط .. وهل هو حلال أو حرام ؟ فبعضهم يقول الاختلاط في الأماكن العامة مباح ..كالاختلاط في الأسواق والعيادات والمستشفيات العامة

ـ صحيح والله المستعان.. فالحافظ هو الله وحده شكرا على إزعاجك

ـ أبدا أنا خبرتي كخبرتك أنت كنت منضبطا في الحي ومن رواد المسجد .. فأخي الأكبر ناصر يعرفك ويعرف والدك المحترم وأسرة عمتي جارة لكم .. أنا درست في مدرسة حكومية لذلك لا نعرف بعضنا إلا بالوجه أخي ناصر أتعرفه؟

ـ كيف لا أعرفه ؟ شاب فاضل ومجتهد هو درس وما زال يدرس في كلية العلوم

ـ طالب كلية علوم .. أهلا سيد ساري

ـ شكرا زميلي عمر

***

ابتعد عمر فهو طالب في قسم الإعلام في نفس كلية الآداب ، كانا قد التقيا في مطعم الكلية وتذكرا انهما يعرفان بعضهما كأبناء حي واحد أو منطقة متجاورة ، خرج ساري بعد إنهاء شرب الشاي واكل الساندويشة ، ولما صار على مخرج وباب القاعة اصطدم بزميل الفصل الطالب خميس الذي صاح : أهلا ساري أنت هنا بحثت عنك لترافقني إلى هنا

ـ جئت مع عمر حارثة

ـ طالب قسم الإعلام أتعرفه ؟

ـ اعرف اخوه الأكبر منه اكثر .. فنحن أبناء حي السفاح هما في شارع وأنا في شارع

قال خميس : هل كان سفاح يعيش فيه وسمي على اسمه ؟

ـ لا ، اذهب الآن وكل وسأنتظرك قدام المكتبة

ـ حسن هل احضر لك شيئا؟

ـ أكلت وشربت الشاي بفضل الله .. أنا في انتظارك عند مدخل المكتبة .. هناك غابة صغيرة يحسن الجلوس فيها

دخل خميس المطعم أو الكافتيريا الخاصة بطلاب كلية الآداب وتابع ساري السير نحو غابة المكتبة الخاصة بكلية الآداب ، ووجد زميل شعبة يجلس وحيدا ، فسلم عليه وجلس قريبا منه قال : كيف الحال ؟

ـ بخير وأنت !



ـ مثلك .. كيف أنت والنحو ؟

ـ جيد إلى حد كبير ؛ ولكنه كثير التشعبات والتفريعات

هل من مشكلة ؟

ـ سمعت جملة من الدكتور حمدي ولم استسغ إعرابه لها

ـ انتبهت لها ؛ لعله اتبع مدرسة نحوية غير ما نعرف ، فكما تعلم في مسائل في النحو لها وجوه وكلها يستساغ العمل عليها .. والترجيح ؛ ليس كل عالم يستطيعه ويحكمه .. كانوا قديما يتنازعون بين بصري وكوفي ثم بغدادي ومشرقي مغربي .. نحن اليوم نرى الوجوه بفضل الطباعة والمكتبات

ـ هل هذا دفاع عنه؟

ـ لا ، هو دفاع عن الاختلاف السائغ والمقبول ومع الوقت يخيل لي ستتعرف على الكثير من الفروق بين مدارس اللغة والنحو والصرف

ـ أنت لا تدخن .. اسمح لي بتعفيط سيجارة

ـ تعودت على تحمل المدخنين .. شباب يصلون ويدخنون يا سيد خليل

ـ بارك الله فيك .. لابد انك تذكر أن هناك مشايخا ترى انه مباح

ـ اسمع اسمع

***

مواد البكالوريوس

*ذكرنا أن بكالوريوس اللغة العربية مدته اربع سنوات لاجتياز ١٣٢ ساعة دراسية ويحتاج الطالب للنجاح في ٢٧ ساعة بين اختياري وإجباري تحت مسمى متطلبات الجامعة ويقصد بمتطلبات جامعية أي على كل طالب في الجامعة مهما كان تخصصه وقسمه بأخذ تلك الساعات إذن هي المتطلبات التي يجب على جميع طلاب الجامعة تحقيقها بغض النظر عن تخصصهم .*

*أما متطلبات الكلية فهي المتطلبات الخاصة بكل كلية مثل كلية الهندسة أو كلية العلوم أو كلية الآداب ، وأما متطلبات التخصص فهي المتطلبات الخاصة بكل تخصص داخل الكلية مثل تخصص الهندسة المدنية أو تخصص علوم الحاسوب أو تخصص اللغة العربية وهي التي سيحتاجها الطالب في أداء وظيفته العملية بعد التخرج ، وقد يسأل عن أهمية المتطلبات الجامعية فيقال لضمان جودة التعليم فهي تهدف إلى ضمان أن الطلاب الذين يلتحقون بالجامعة لديهم مستوى تعليمي معين يؤهلهم للاستفادة من الدراسة الجامعية ، وتساعد المتطلبات في تحديد مستوى الطالب من حيث المعرفة والمهارات، مما يساعد الجامعة على توجيه الطالب وتلبية احتياجاته التعليمية .*

*المتطلبات الإجبارية هي المواد التي يجب على الطالب دراستها والنجاح فيها ضمن متطلبات الجامعة أو الكلية أو التخصص .. فعلى طالب قسم اللغة العربية اخذ (٢١) ساعة معتمدة إجباريا، فهناك مساق العلوم العسكرية واللغة العربية ١ و ٢ اللغة الإنجليزية ١ و ٢ التربية الوطنية ومهارات الحاسوب ١ وكل مساق ٣ ساعات معتمدة .*

*المتطلبات الاختيارية هي المواد التي يختارها الطالب من بين مجموعة من المواد ضمن متطلبات الجامعة أو الكلية أو التخصص وفي قسم اللغة العربية هي ست ساعات من خلال المساقات التالية : تاريخ وحضارة الوطن ، الثقافة الإسلامية وقضايا العصر ، الحضارة العربية الإسلامية ، حاضر العالم الإسلامي ، الإنسان والبيئة ، مهارات حاسوب متقدمة ، مبادئ إدارة الأعمال مبادئ الصحة العامة ، فيختار منها الطالب مساقين ليحصل على ست ساعات نجاح معتمدة*

*هذه المساقات الجامعية يأخذها الطلاب خلال السنوات الدراسية الأربعة ؛ ليس من خلال فصل واحد ، ومن خلالها يلتقي بطلاب من كليات أخرى تجمعهم المادة الإجبارية أو المختارة ربما يحضر المحاضرة الواحدة عدد كبير من الطلبة في قاعات ومدرجات كبيرة ، فلابد من النجاح بتلك المساقات التي هي عبارة عن ٢٧ ساعة ،* فالأمر على ساري سيكون شاقا على النفس ، فسيرى فتيات كليات أخرى وأزياء وزينة ، فلن تكون دراسة تلك المواد ضمن قاعة واحدة أو مدرج واحد ، وستمضي الأيام والسنون كما مضت على ملتزمين كثر من قبله ، ذات نهار كان يقف مع زميله خميس يتناقشان في معلومات سمعاها من احد المحاضرين ؛ وكأنها لم تعجب السيد خميس ؛ فكان يعقب عليها لساري وساري من طبيعته محبة الاستماع لوجهات نظر الناس ومناقشاتهم ، وبينما هما منسجمان القت فتاة عليهما السلام وصافحت خميسا ورفع ساري يده محييا ففهمت الفتاة بداهة انه لا يصافح الجنس الآخر فقال خميس معرفا : صديقتي عزة وابتسم لها ولساري ثم قال : الزميل ساري يا عزة !

فانكمش وجه ساري ضيقا بالموقف ثم حسم الأمر قائلا : اسمحوا لي بالانصراف

قال خميس : سننصرف نحن . وقبض بيدها مبتعدا عن ساري وممن كان واقفا قريبا منهم ، وبعدها ابتعد ساري كليا عن الوقوف مع خميس بس مجرد التحية والإشارة بيده ، فادرك خميس أن صحبة ساري له انتهت كزميل والجلوس سوية، حتى فتاة خميس لاحظت ذلك بعد حين فقالت : كأن صاحبك ابتعد عنك

قال بحقد : شاب معقد يا عزة ! يكره جنسكن ..الله يعين من ستتزوجه اذا تزوج .. عمره ما عرف فتاة أيام الثانوية وخلال هذا العام يتجنب الحديث معهن حاولت تغييره لكني فشلت

ادركت عزة أن صديقها حقد على زميله السابق فقالت : هذه جامعة يا خميس والاختلاط بكم والتدخين معكم امر عادي.. هو معقد لماذا لم يلتحق بكلية الشريعة ؟ سيجد بنات عارضات أزياء اقل فيها

ـ لم نتناقش بهكذا قضية ؛ لكنه شاب ذكي وفطن ومحب للعربية وحتى جيد جدا في الإنجليزية

ـ سببت لك الخسارة

ـ لا ، لو انتبهت لك لزحفت إليك أنا قبل أن نحرجه ويحرجك عندما تجاهل يدك

ـ عادي ليس أول مريض نفسي اصطدم به .. ففي كل قسم كلية أشباه له في الطب في الهندسة لا يصافحون البنات والزميلات .. هل استعددت لامتحانات الفصل ؟

ـ أنا هدفي النجاح لا ابحث عن معدل مرتفع

ـ يا سلام أنت متواضع أم زاهد !

ـ كلاهما

***

*على طالب الجامعة كما سبق وأشرت أن هناك متطلبات يسمونها متطلبات الكلية الإجبارية وهي ٢١ ساعة ، منها ١٢ ساعة إجبارية في المواد الأربعة هذه : أساسيات البحث العلمي والمعلوماتية ، فن الكتابة والتعبير ، الحضارة العربية الإسلامية ، تاريخ الوطن .. ثم المتطلبات الاختيارية: (٩) ساعات أي ثلاث مساقات من هؤلاء المكتبة العربية، تذوق النص الأدبي المهارات الدراسية ، جغرافيا الوطن العربي ، مدخل إلى علم الاجتماع ، مدخل إلى تاريخ الحضارة الإنسانية ، وبانتهاء الطالب من متطلبات الجامعة ككل والانتهاء من متطلبات الكلية يبقى عليه مساقات ومواد التخصص وهي ٧٨ ساعة ، لها المواد التالية وكل مادة تعني انتهاء ثلاث ساعات معتمدة ، ويمكن اخذ مواد مساندة لتحسين المعدل التراكمي النهائي للتخريج أما مساقات ومتطلبات القسم التخصصية ٧٨ ساعة ، فهي المتطلبات الإجبارية: ٦٩ ساعة وموادها : الصرف ، النحو العربي ١ و٢ و٣ و٤ ، الأدب في العصر الجاهلي ، الأدب في العصر الإسلامي ، الأدب في العصر العباسي (نثر) البلاغة العربية ١ و٢ العروض ، الأدب في العصر العباسي (شعر) ، الأدب الأندلسي والمغربي ، أدب العصور المتتابعة النقد الأدبي عند العرب البيان القرآني ، الأدب في العصر الحديث (نثر) ، فقه اللغة العربية ، اللسانيات ، تطبيقات لغوية ونحوية ، النقد الأدبي الحديث ، الأدب في العصر الحديث (شعر) ، الأدب المعاصر في*

*الوطن ، المتطلبات الاختيارية: ٩ ساعة وهي نصوص من الأدب في العصر الجاهلي ، النثر القديم نصوص من الأدب في العصر الإسلامي ،كتاب خاص في الأدب العباسي ، فن المقامات نصوص من الأدب في العصر العباسي ، البيان النبوي ، شاعر حديث ، الأدب المقــارن ، الأدب الحديث(القصة و المسرحية) ، المعجمات العربية ، صوتيات اللغة العربية ، المدارس النحوية ، قضايا نقدية وبلاغية ، كتاب خاص في اللغة والنحو ، قواعد الخط العربي والإملاء والترقيم ، منهج البحث في اللغة والأدب وأما المتطلبات الأخرى : ست ساعة المتطلبات المساندة : ٣ ساعة تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين .*

*هذه المواد على طالب قسم اللغة العربية اجتيازها بنجاح ليصبح ممن يحملون شهادة جامعية في اللغة العربية وآدابها ويمكن أن يعمل في أي وظيفة تحتاج إلى كل هذا العلم كأستاذ مثلا كمحاضر جامعة .*

***

ذكرنا هذا التفصيل لتعلم الجهد الذي سيبذله طالب كلية الآداب السيد ساري عبد المؤمن لذلك في بداية السنة الثانية بدأ الشاب ينشر مقالات أدبية وثقافية في بعض صحف ومجلات البلاد بحماس وثقة ، وزاد اهتمامه باللغة الإنجليزية لغة العصر العلمي والثقافي كما يشاع ويقال كان يذهب لمعهد تعليم اللغة الإنجليزية بعد عصر ثلاثة أيام في الأسبوع ، والتقى بشاب غربي يعمل في المعهد كمدرس ومعلم ، واحب الشاب الغربي روبرت تكوين علاقة صداقة معه ، فرحب ساري بذلك ، وكان روبرت هاريس يرغب بمعرفة الإسلام اكثر مما يسمع ويقرأ لما علم أن ساريا مثقف دينيا ، فاستعد ساري لقراءة كتاب معه عن الإسلام ويترجمه له شفويا فقبل روبرت هاريس الفكرة ، وسيكون اللقاء بعد انتهاء دروس المعهد التابع للسفارة الإنجليزية أو هي التي تنفق عليه وتعين مدرسيه ، حتى أن مدير المعهد



بعد حين من لقاءات ساري بروبرت هاريس عرض عليه تعليم بعض العاملين اللغة العربية الفصيحة ، فقبل بدون مقابل ويكون تعليما متقطعا لظروفه الدراسية ، فتبين لساري أن روبرت يعمل مدرسا في كلية آداب جامعية لمواد باللغة الإنجليزية عدا تعليمها في معهد السفارة ، وزاره في مكتبه الجامعي ليزداد معرفة به بناء على دعوة خاصة منه قد قبلها ، وكانت زوجة روبرت مدرسة أيضا في الجامعة المدعومة من السفارة الإنجليزية والحكومة البريطانية المهتمة بنشر الثقافة الإنجليزية في بلدان العالم العربي وغيره .

انهى ساري دورات اللغة الإنجليزية وتحصل على شهاداتها ، وعرفه الدكتور روبرت على زوجته ، وتقبل ساري ذلك ، فهو من خلال الكلية الجامعية التقى بعدد من دكتورات التعليم الجامعي ، فكان يرى أن ذلك من الاضطرار ، واغلب دكتورات العربية فوق الأربعين والخمسين فقبل معرفة اديث زوجة روبرت هاريس من هذا الباب ، ولم تحدث بينهما مصافحة وهي تفهمت ذلك من شرح زوجها .

ظلت العلاقة الودية بين ساري والمعهد ، ويذهب لتعليم العربية للناطقين بالإنجليزية ، وقد قرأ عددا من الكتب تشرح كيف يتعلم الآخرون اللغات الأخرى سواء كانت كتبا عربية أو أجنبية حتى أن مدير المعهد رغب إليه الدراسات العليا في بريطانيا ، ووعده بالمساعدة للحصول على بعثة من احدى الجامعات المهمة في إنكلترا كامبريج أو أكسفورد ، فقال شاكرا : لا انكر أهمية شهادات بريطانيا أو المانيا أو الولايات المتحدة في بلادنا حينما أنهي البكالوريوس يخلق الله ما يشاء

***

كان إمام مسجد عثمان يقدم ساريا لصلاة التراويح نيابة عنه في بعض الليالي ، ولما اصبح تلميذا جامعيا سمح له تارة بالخطبة نيابة عنه ، واهل المسجد يتقبلونه من قبل الجامعة ، واقنعه والده بالعمل في المدرسة أيام الفراغ من الدوام الجامعي ، لأن الطالب الجامعي أحيانا يكون دوامه بعض أيام الأسبوع ، فقبل ذلك وهو سيكون عليه مساق عملي وتدريب على التعليم .

قررت كلية اللغة العربية الذهاب إلى عمرة طلابية ، وحصر الطلبة الراغبون على ذلك ووافقت أسرة ساري بمرافقته لعمرة كلية اللغة العربية ، وهذه أول مرة يخرج الشاب من البلاد ؛ فليس له على السياحة درب واهتمام ، ولم تخل حياة الأسرة من نزهات داخلية ، واستمتع صاحبنا بتلك الرحلة التعبدية المثيرة للأشجان والذكريات والى النبي ﷺ والصحابة ، ولما رجع سالما كتب اكثر من مقال عن الأجواء الروحانية التي تحصل للمسلم من زيارة تلك المقدسات المطهرة حتى شوق الأسرة بالحجز للعمرة مع أي شركة سياحية تهتم برحلات عمرة للديار المقدسة ، مع أن والديه قد حجا من قبل دخوله الجامعة ؛ لكن من اجل رضوى ورضا ؛ لأن الآخرين كانوا قد تزوجوا واستقلوا بحياتهم الزوجية ، واصبحوا للبيت زوارا ، سكن رشيد فترة مع الأسرة ثم رحل .

تخرج ساري من الجامعة بحفل سنوي تقيمه قيادة الجامعة لكل خريجي الكليات، واصبح رجلا متعلما ، وعرضت عليه الجامعة دراسة الماجستير والدكتوراه فيها لتفوقه الباهر وللعمل في كلية الآداب أو الشريعة .

***

ظل الشاب محافظا على سمته وصفاته التي اكتسبها من حسن الخلق والتدين المعتدل كما يصنف الناس اليوم متشدد ومتزمت ومتعصب ومعتدل ومتساهل و.. و ..

اختار البقاء في البلد في البداية رغم إغراءات روبرت، فاشتغل في مدرسة ابن عباس مدرسا لمادة اللغة العربية لطلاب المرحلة الثانوية ولدراسة الماجستير والدكتوراه في جامعة الصديق أبو بكر .

ذات غروب بعد عودته من مركز اللغات قدمت له أمه مجموعة رسائل قائلة : مررت على صندوق البريد وجلبت الرسائل وهذه حصتك

شكر أمه وبعد جلسة عائلية معتادة وشرب فنجانا من الشاي صعد لغرفة نومه ومكتبه مع رضا وبدأ يتصفح الرسائل حتى وصل لرسالة وفتحها فصعق مما فيها ، ذكرته برسالة استلمها باليد

قبل خمس سنوات هل الحب حرام ؟؟؟ فكان فيها سطر واحد فقط كالرسالة القديمة يقول : هل عرفت الجواب ؟؟؟

فقال مفكرا : من هذه الفتاة التي تعرف رقم صندوق بريد العائلة ؟ أنا لا اعرف بنات العائلة بشكل جيد

عمي نصوح عنده خمسة ، عمي مريد ثلاث ، خالي محمد ثلاث ، وخالي ثابت أربعة ، خالتي أم محمد ثلاث .. لابد أن من تعرف البريد قريبة من الأسرة .. هل عرفت الجواب ؟؟؟ ما تعني علامات الاستفهام أنا كنت أتوقع رسالة بعد تلك بأيام .. لليوم هي بدون زواج كاتبة الرسالة

***

عرضت الأسرة أو طرحت فكرة الزواج على ساري من قريبات الأسرة فقال : لست متشوقا للارتباط بأسرة بعد .. عندما تتخرج رضوى الأميرة وانتهي من الماجستير وما بعده .. بل هناك لدي رغبة بأخذ الدكتوراه من بريطانيا ..فجماعة المعهد يقدمون البعثة على طبق من ذهب وبدأت أتشجع وعلمت انني استطيع ذلك بموافقة جامعة الصديق فهم يبعثون بعثات لبريطانيا

قال الوالد : زواج مكانك قف

ـ الأفضل يا أمي ويا أبي .. تحمل مسؤولية زوجة ليس سهلا والشخص يسير ويجري

ـ وعملك في الجامعة

ـ سأتوقف اذا سافرت بريطانيا

ـ هل تعلم وأنا حدثت امك بأن شيخنا عنده صبية يرغب بتزويجها لك ؟

قالت طاهرة : وهي انتهت من الكلية من قريب

قال متذكرا : كأنه لمح لي اكثر من مرة ، وسويت نفسي لم افهم وقلت لم يحن وقت الزواج يا عمي أبا احمد

فقال الأب : فتحول إليّ .. سأعتذر له ما دام عرض عليك .. وهو رجل فاضل وعشرة عمر

منذ جاء للعمل هنا ونحن أصدقاء وكذلك أخيه عبد الرحمن الطبيب في أول الشارع

***

دعا روبرت صديق المعهد ساري لبيته ، ولم تكن أول دعوة بينهما ، فمنذ أن تعرفا يتبادلان الزيارات ، فروبرت هاريس مسلم من قبل أن يعرف ساريا فقد اعتنق الإسلام قبل الحضور للبلد هذا ، وكذلك زوجته ، فهما عرفا الإسلام في بريطانيا عن طريق شاب باكستاني أقنعهما في الإسلام ، فاسلما واكملا الدراسة وانتقل للعمل في بلد عربي مسلم ، واستمتع بصحبة ساري لما التقاه في المعهد، وهو أي ساري يجيد الإنجليزية إلى حد كبير ، بعد الاستقبال قال روبرت : هل حزمت امر السفر ؟

ـ تقريبا إلى حد ما .. فالجامعة ستسمح لي بأخذ الدكتوراه من جامعات لندن

ـ سأتابع الأمر وستمضي على خير ما يرام .. وستهتم بك عائلة أديث فوالدها مسؤول في الجامعة وهو ارمل منذ ترمل لم يقترن

ـ هل هو مسلم مثلكم ؟

ـ هو لم يسلم ؛ ولكن أخت اديث أسلمت معنا يمكنك قول ذلك .. وستساعدك في العيش هناك .. وهي عزباء لم تجد مسلما تعيش معه ، فهي تعيش مع أبيها .. لما تتعرف عليها لعلك تقبل بها قرينة هي اكبر منك بسنتين أو ثلاث ..

ضحك وقال : دراسة وزواج

دخلت اديث تحمل الشاي وترحب بساري وتطمئن على أهله وتمدح أمه الطبيبة لأن ساريا عرفهما على بعض .

***

اقتنعت الأسرة بسفر ساري لدراسة الدكتوراه في بريطانيا والتعرف على أخت اديث إسحاق فبريطانيا بلد إباحي وحضاري ، فهو بلد يقر زواج المثليين ، ويصلون إلى كراسي الحكم والوازرة من غير اعتراض ، ولما جاءت الوثائق النهائية غادر للقبول ، سافر وصحبه روبرت

واديث ليساعداه في الالتحاق بالجامعة والتعرف على إدنا وابيها إسحاق جيفري .

*عادةً ما تستغرق دراسة الدكتوراه في الأدب في بريطانيا من ٣ إلى ٤ سنوات بدوام كامل ، أو ٥ إلى ٦ سنوات بدوام جزئي ، تعتمد المدة الزمنية بشكل رئيسي على طبيعة المشروع البحثي الذي يقوم به الطالب والجامعة التي يدرس فيها ، تعتمد برامج الدكتوراه في الأدب بشكل كبير على البحث الأدبي المختار ، حيث يركز الطلاب على إجراء بحث أصيل في مجال تخصصهم وكتابة أطروحة دكتوراه ، يتلقى طلاب الدكتوراه إشرافًا من قبل مشرف واحد أو أكثر لمساعدتهم في إنجاز أبحاثهم . . بعد الانتهاء من الأطروحة ، يخضع الطلاب لامتحان شفوي (viva) لمناقشة أبحاثهم أمام لجنة من الخبراء . . قد تختلف المدة الزمنية اللازمة لإكمال درجة الدكتوراه بناءً على قدرات الطالب الفردية والظروف الشخصية، وقد تزيد أو تنقص عن المدة المعتادة .*

فور الوصول رحب بهم إسحاق جيفري وتعرف على ساري ، فهو طبيب محاضر في كلية الطب وترك امر الزواج حتى حضور إدنا فهو قد اطلع على الفكرة من اديث هاريس ، وكانت ابنته الثانية تلك الفترة في رحلة علمية خارج بريطانيا ، فهي تعمل في نفس جامعة الوالد في كلية الفيزياء كباحثة ومحاضرة .

كانت عندها فكرة عن الزواج من شاب عربي مسلم صديق أختها وزوجها ، سيأتي لدراسة الدكتوراه ، صديق لروبرت ولأختها منذ وافق ساري على التعرف عليها بقصد الزواج خلال دراسته في بريطانيا .

سكن ساري في منزل الدكتور إسحاق الواسع ، فلم يحتج لمسكن ، وكانت تقوم على خدمة الدكتور امرأة عجوز إلى حد ما مهمتها تنظيف البيت والمكتب وإعداد بعض الطعام له ، ثم تغادر المنزل لبيتها في نفس تلك المنطقة من لندن ، لم تكن تبيت عنده ، فهو يخدم نفسه ليلا وصباحا وابنته تقوم معه بذلك ، والذي آخر زواج ابنته ابنة السبع والعشرين سنة هو تركها الانجليكانية .

المسيحية هي الديانة الغالبة في بريطانيا، وتحديداً الأنجليكانية وهي المذهب السائد في إنجلترا

وويلز ، ومع ذلك هناك أيضاً وجود كبير للكاثوليكية والبروتستانتية (بمختلف طوائفها) بالإضافة إلى تزايد أعداد غير المتدينين .

لما تأخرت عودة إدنا سافر روبرت وزوجته لعملهما ، وتكفل الوالد برعاية ساري حتى ترجع الفتاة ويتعرفان على بعض حق المعرفة قبل تقرير مصير الاقتران ، ولم يؤثر التأخير على برامج ساري والتحاقه بكلية الآداب والإعداد لرسالة الدكتوراه في الأدب البريطاني مع أستاذه المشرف عليه .

***

بعد شهر من وصوله لندن رجعت الفتاة من رحلة بحثية كانت تقوم بها لصالح الجامعة ، ولما دخلت البيت عرفها والدها على الشاب صديق اديث وروبرت ، واعتذر لها عن المصافحة وهي تقبلت ذلك وأخبرته أن الكثير من المسلمين لا يرون حرجا في مصافحتها ، فبين له وجهة نظره وجرت بينهما مناقشات حول أفكار أختها وزوجها ، وبعد أيام تقبلت فكرة الزواج منه ، وقبل والدها اختيارها ورغبهما بالبقاء معه حتى ينتهي ساري من دراسته ويعود لوطنه ، فلم يمانع ساري بالعرض اذا قبلته البنت ، لكن البنت تحفظت على البقاء عند والدها اذا تزوجا ، وغمزت لساري فترك السجال في ذلك ، ثم عرف السبب بأن والدها أحيانا يصحب معه صديقة أو عشيقة للتسلية ، وهذا لا يليق بهما ، فشكرها على هذا التوضيح ، واستغرب عرض إسحاق لهما فقالت : عندما يخبرني بموعد مع عجائزه أبات خارج البيت حتى يخبرني أثناء العمل برحيلها أبي رفض الزواج بعد ترمله ؛ ولكنه يتسلى بأرملات الجامعة .. ولا ادري هل عندهم قدرة على الجنس أم ...؟

ضحك ساري وكانت عنده ثقافة عن الحياة الجنسية في بريطانيا وأوروبا وقال : شكرا على الإفادة عندما نتفق نهائيا سأدعو والدي وأمي لحضور حفل زواجنا الصغير وتتعرفين عليها فاديث عرفتها عليهم

ـ ولماذا تتزوج من هنا ؟

ـ لا لسبب خاص ؛ إنما لحفظ الفرج والبصر في بلد كهذا

ـ أنت منذ عرفت اديث وهي تحدثني عنك كيف تعرفت عليهما ؟

اختصر قصة المعهد وتعرفه على روبرت ثم اديث زوجته المحاضرة في جامعة في بلده ، وكيف رغبه زوجها من نكاح أجنبية ليتحمس لدارسة الدكتوراه الإنجليزية .

***

لم يطل انتظار ساري بقبوله من إدنا فاتصل بوالديه ، وهي اتصلت بروبرت وأختها ، وفي جمعية إسلامية نشطة قامت حفلة زواجهما في قاعتها الرئيسية ، وأصر إسحاق جيفري على عيشهما معه ، وبين لابنته أنه لن يحضر أي امرأة إلى المنزل لمغازلتها ، واذا احتاج لذلك سيذهب لشقتها أو أي فندق ..فبعد ضغط قبلت الفتاة البقاء والسكن مع والدها ، وظلت تلك العجوز تتردد إلى المنزل لتنظيفه وإعداد وجبة الغداء لهم ، وتابعت إدنا عملها في مختبر الفيزياء في الجامعة ، وتابع ساري بحثه في نوع من الأدب الإنجليزي وبمساعدة المشرف وهو دكتور حسين عربي من العراق .. كانت حياة بسيطة تمشي بيسر من الله ﷻ حتى أخبرته زوجته الإنجليزية بحدوث الحمل ، فسره ذلك ، وبدآ يتهيآن لفترة استقبال المولود مع رعاية صحية للام الحامل والجنين في عيادة خاصة تابعة لمستشفى الجامعة العاملين فيها ، وفرحت اديث بخبر حمل أختها وهي التي لم تحمل بعد من روبرت ، خلال فترة الدراسة لم يفكر ساري بالعودة للبلد قبل الانتهاء من الدراسة .

اضطرت إدنا في آخر شهور الحمل بترك العمل فقد تعبت صحتها كثيرا من الحمل ، ولم يفهم السبب حتى تمت الولادة بصعوبة وبعملية قيصرية ، وكان مولودهما الأول صبيا سمياه عبد الله وتم الاحتفال بالصبي على مستوى الأصدقاء والزملاء ، وانتدب والد ساري بعمل عقيقته في حي عثمان نيابة عن ابنه ساري ، وكان قد حدث امتعاض في العائلة عندما علموا بزواج ساري الشيخ من فتاة أجنبية رغم تبريرات عبد المؤمن وطاهرة للأقارب .

قضت إدنا سنة مع طفلها عبد الله، شهور قبل الولادة وشهور بعد الولادة ، واغلب هذه

الشهور بدون مرتب ، ثم باشرت العودة لمختبر الكلية الفيزيائية ، وقد استأجر والداه حاضنة له حتى يكبر ، وكانت الحاضنة امرأة سوداء من أصول إفريقية ، وقبل إنهاء ساري أطروحته الأدبية حدث في مخبر كلية الفيزياء حادث كارثي أدى إلى حالات موت ، وكان منهم إدنا أم عبد الله ، وكانت صدمة كبيرة للدكتور البروفسور إسحاق ولزوج ابنته ساري الذي حزن جدا للحادث ، وإن استفاد من التأمين الخاص بكادر المختبر ، فتم نقل ملكية التعويض باسم الطفل عبد الله ، واضطر لترك منزل عمه واستئجار شقة حتى ينتهي من رسالته ، وبعد حين حاول روبرت واديث إقناعه بالزواج مرة أخرى ولكنه قال لهما : إنما هي بضعة شهور بإذن الله وتنتهي المهمة سأتزوج في البلد .

فلم يعودا يذكران ذلك له عند اتصالهم معه ، وقبل العودة بعد تحصيل الشهادة والعرض عليه العمل في الجامعة بعقد جديد هلك والد اديث وادنا وحضر جنازته وعزا اديث وروبرت وأقاربهم الذي عرفهم خلال السنوات الدراسية ، ورجع معهم للوطن ، وتعاقد مع جامعة الصديق وعين في كلية الشريعة لتدريس مساقات اللغة العربية لطلاب الشريعة .

وكانت عروض الزواج تنقل إليه من أقاربه من اجل طفله الذي قامت امه بالاهتمام به ، وقد قلّ عملها في العيادة بسبب السن والعمر وضعف البنية البدنية مما حل بها من أوجاع وآلام .

وكان الاختيار من الأقارب صعبا ومحيرا في نظره ونظر أبيه ، فقال لأبيه ليلة : سأشتري شقة في حي الجامعة ثم افكر في الزواج

ـ هو الأفضل .. ولماذا لا تشتري هنا ؟ ربما تترك تلك الجامعة ، لا شيء يدوم .. والأفضل أن تشتري بيتا مستقلا كمثل بيتنا هذا

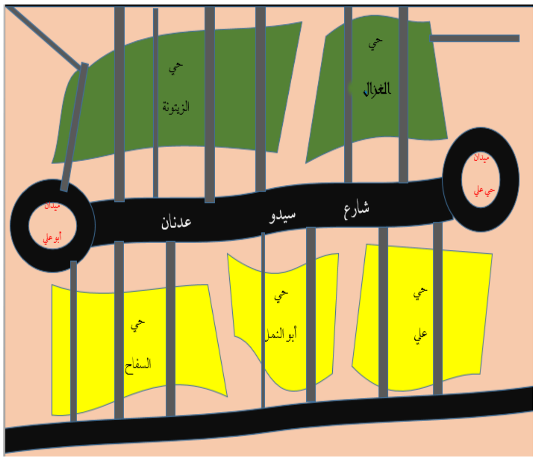
ـ وهل اجد مثل هذا البيت هنا ؟

ـ العمار لا يتوقف فهذا يهدم ويبني عمارة ، وذا يشتري ما حوله لتوسيع بيته .. سأتحدث مع صديقنا المهندس أبي ماجد .. فهو صياد بيوت لتبتاع وإقامة عمارات مكانها لبيعها كشقق أو تأجيرها

ـ كانت شقة في منطقة إسكانات الكليات معروضة للبيع

ـ سكنك قربنا افضل .. فنحن كبرنا وبحاجة إلى قربكم منا فأخوك رشيد سافر للعمل في الخليج كما تخبر ، وربما رضا سيستقر معنا بعد زواجه القريب .. حتى أنا فكرت بإنشاء طابق لك ، ولكنني لم ارحب بهذه الفكرة حتى لا تحدث إشكالات بينكم بعد موتي في قضية الميراث كما يحصل بين الأخوة من تنافس ومشاحنات حتى ولو كانوا ممن يتقون الله .. ومن اجل أولادكم في المستقبل

***



لقاء عارض

لما خرج ساري من جامع عثمان جامع الحي رأى شابا يشير اليه بالتوقف ولما اقترب منه احتضنه وقبل خديه قائلا : أتذكرني ؟!

ضحك وقال : يا سلام زميل الجامعة الأخ عمر !

ـ أحسنت يا صديقي ! ما أخبارك ؟ سمعت انك سافرت بريطانيا للدراسات العليا هل حققت المبتغى ؟

ـ الحمد لله .. أنت ما أخبارك وأخبار الصديق ناصر ؟

ـ أخي ناصر مثل أخيك رشيد أتيحت له فرصة عمل في الخليج .. وانا كما تخبر درست في كلية الإعلام واعمل منذ تخرجت في التلفزيون .. عملت محررا لنشرات الأخبار ثم مقدم برامج حوارية وما زلت .. وأنت أين رسا بك المطاف؟ .. سمعت من ناصر انك تزوجت أجنبية

ـ صحيح أثناء الدراسة رغبت بالزواج ، وولدت لي عبد الله ثم ماتت رحمها الله

قال بحزن : ماتت رحمها الله ! عدت بدون زوجة

ـ قدر الله وما شاء فعل

ـ كيف ماتت ؟ هل كانت مسلمة؟

ـ نعم كانت رحمها الله مسلمة وإن كانت إنجليزية .. وسمينا ابننا عبد الله .. ماتت يا صديقي بحادث تطاير غازات سامة في مختبر فيزياء في الجامعة حيث كانت باحثة في المختبر .. وحدثت وفيات وكانت منهم

ـ عظم الله أجرك يا أخي .. الآن أنت عازب.

ـ نعم ، ما أخبار ناصر ؟

ـ طيب وموفق ودخل جيد .. وها نحن نبني له عمارة ليستثمر أمواله فيها قبل إنهاء عقده .. أنت تبحث عن أم لعبد الله أم تركته هناك ..؟ هو يحمل جنسية بريطانيا

ـ وانا احمل جنسية بريطانيا بسبب الدراسة اربع سنوات وبسبب الزواج من إنجليزية .. وانا

اليوم ابحث أيضا عن منزل مستقل لأشتريه

ـ هنا في شارع سيدو عدنان أم حي عثمان

ـ في طول الشارع وعرضه أي مكان من شارعنا الخالد

ـ لي صديق حدثني من فترة عن رغبته بالرحيل من الحي بسبب وفاة والديه سأتحدث معه اذا لم يتخلص منه بعد واذهب بك لرؤيته

ـ بارك الله فيك واذا لم تجدني فخذ أبي فهو الذي سيقوم بالمهمة .. كنت سأقوم بشراء شقة قرب إسكان جامعة الصديق ؛ لأنني تعينت في كلية الشريعة معلما للغة العربية فيها

ـ أنت اشتغلت كما اذكر فيها قبل السفر

ـ اجل عملت بعد التخرج ثم حصلت على منحة ابتعاث في بريطانيا ثم عدت اليهم اعتذرت عن متابعة العمل في بريطانيا ..

ـ موفق يا صديقي سأهتم ببيت صديقي .. هو من الميراث وهو من اقدم منازل حينا .. ومن شغله استطاع شراء قطعة ارض بعيدة عن الشارع وعمّر فيها .. ورحل إليها وسيباع البيت من اجل الميراث وإنهاء الشراكة العائلية .. سنة الحياة

ـ نعم ، وانا من اجل ذلك لا افكر بالبناء فوق بيت الوالد خشية النزاعات بعد عمر طويل من حياة الوالدين

ـ تفكير جيد ! سلم على أبي رشيد

ـ السلام عليكم إلى اللقاء أنت لا تصلي هنا

ـ لا ، أنا اسكن قرب مسجد الشيخ محسن .. هنا عمة لي تعيش بجواركم

ـ حي علي

ـ أنا أعيش هناك مع زوجتي وعندي ثلاثة أطفال .. بيت كان لوالد زوجتي في الأصل .. سلم يا أبا عبد الله

ـ سلم أنت على والديك وعلى الأخ ناصر وابعث له تحياتي

***

العمل الجامعي قد يستغرق الكثير من الوقت للمحاضر سوى محاضرات الفترة الصباحية قد يكون هناك محاضرات مسائية للذين يدرسون ليلا بسبب أعمالهم ووظائفهم الصباحية فتكون محاضراتهم مسائية خاصة أصحاب الدراسات العليا ، فاغلبهم يعمل إن لم يكن جلهم ؛ لذلك قد يمكث الدكتور ساري وقتا طويلا بين جدران ومكاتب الكلية ، كان يجلس في المكتب الخاص به وبزميل آخر فبعد جلوسه قال : هل وجدت أما لعبد الله ؟

ـ الأمهات كثر في هذا الزمان ؛ لكن يصعب عليهن تربية ورعاية ابن غيرهن

قال الزميل : حتى في ابنهن يقصرن .. نساء اليوم لا يعجبهن العجب ولا الصيام في رجب

ـ الحياة رغم بساطتها شاقة ومتطلباتها كثيرة .. لم تكن حياة الناس قديما مثل حياتنا الكمالية والاستهلاكية

ـ الدكتور حاتم قال انظر رايك لديه أرملة تعمل في التعليم

ـ أرملة! لا أعيب أي أرملة ؛ لكني ارغب بامرأة ليس عندها أطفال ؛ فكما قلت أريد أما لعبد الله

ـ ما هي بعد الزواج ستنجب لك

ـ قصدي أرملة عندها أطفال لا تنفع يا أستاذ إدريس !

ـ أرملة بدون أطفال ممكن تقبلها .. الدكتور حاتم لم يبين لي ذلك لكني فهمت منه أنها أرملة بدون أطفال .. الدكتور مجيد محمد عنده بنت لم تتزوج

ـ كيف عرفت ؟

ـ منه ،كنا نتحدث في موضوع البنات والزواج فذكر أن لديه بنتين في سن الزواج ؛ ولكني لم افهم هل هن بناته أم بنات ابنه؟ فهو له ابن توفي من سنتين أو اكثر بحادث مرور واصبح هو معيلا لأسرة ابنه محمد

ـ حقيقة يا دكتور إدريس لم احزم امر الزواج فلدي هذه الأيام مشروع شراء بيت خاص

ـ ألم تقل انك ستمتلك شقة في عمارات إسكان الجامعة ؟

ـ كنت ارغب بذلك ؛ لكن أبي حبب إلي شراء منزل مستقل .. في رايه البيت المستقل افضل من امتلاك شقة فالمنزل يفيد الشخص في حياته وأولاده من بعده مع انهم سيعانون نفس المشكلة سيتزوجون ويحتاجون لبيوت مستقلة

ـ كلام أبي رشيد فيه كثير من الدقة والنصح .. الشقق جيدة؛ ولكن المشترك مع الآخرين مزعج عند كل طارئ .. مشاكل صيانة الاصنصيل .. مشاكل صيانة أضواء الدرج .. صيانة تنظيف العمارة اقصد درج العمارة .. هناك أناس لا مبالاة عندها بالعمل الجماعي .. واذا ابتلي الشخص بجيران غير محترمين أو نساء سيئات في العمارة مصيبة .. العيوب كثيرة واذا كان جيرانك في البداية طيبين فأولادهم غير مربيين .. من اجل ذلك قلت فكرة أبيك افضل .. وللمنزل المستقل أيضا عيوبه يا أبا عبد الله ..مثل أن يكون لك جيران في الحي الزبالة احسن منهم .. طوش طوش زعرنة زعرنة .. إلقاء القاذورات قرب بيتك ، ولا يلقون زبالتهم في حاويات البلديات

ـ ما شاء الله ! خبرة يا دكتور في سلبيات المجتمع

ـ أنا ربما أزيد عنك بعقود .. تجارب مر بها الشخص أو سمعها من أهله وجيرانه .. أكنت تجد ذلك في بلاد الإنجليز ؟

ـ حدث ولا حرج .. خاصة أيام الاحتفالات بعيد قديس أو ميلاد شيطان .. صخب يملأ الحي وسكارى يترنحون ويصرخون على بعضهم مثل الدواب الهائجة .. ويزعجون أهل الحي ربما أوسخ مما تحدثت به .. نحن صحيح نعاني من سكارى آخر الليل هناك أزود وأتعس.. ممكن يطلقون على بعض الرصاص من شدة السكر .. واذا نظرت للشارع أمام بيتك ترى فتيات كأنهن عاريات وسكرانات .. الحفلات كوارث وزبالة ..لكن في اليوم التالي تظن أن لا شيء كان في الحي .. لا سكر ولا شغب ولا زبالة .. تقوم الجهات بواجبها

ـ إذن البيت قبل الزوجة

ـ هذا ما ترجح لدي

اتصل الإعلامي عمر حارثة على مكتب ساري في الجامعة ، وقد أخذه من رضا شقيق ساري فقال بعد السلام : ذهبت لبيتكم على امل أن أجدك وقد عدت من التدريس ، ولم أجدك ، ووالدك خارج البيت .. ومن حسن الحظ كان صغيركم رضا موجودا وأخذت رقم عملك .. رحب ساري بعمر واطمأن على أخباره وفهم منه أن البيت الذي حدثه عنه ما زال بدون بيع ولم يتمكن الورثة لليوم من بيعه وأن صديقه سيرتب لموعد لرؤيته ، فهو مهجور ومعروض للبيع فقال ساري : بارك الله في جهودك نقلني رقمك لاتصل بك لأذهب أنا وأبي وصاحبك لرؤيته ونرى ما يحتاج من ترميم

فقال عمر : صاحبي يقول المنزل قديم والأفضل هدمه وإنشاء إعمار جديد فمن اجل ذلك لم يوفقوا لحتى الآن في بيعه

ـ سوف نرى ، الهدم فكرة جيدة ؛ ولكن سيحتاج البناء لوقت وأموال اكثر

ـ صحيح .. على كل هذا هو المعروض يا أبا عبد الله واذا تيسر غيره سأتصل بكم فقد عرفت رقم البيت أيضا من المهندس رضا أخوك يدرس مهندسا

ـ انتهى من شهور بفضل الله

ـ أي نوع من الهندسة درس؟

ـ مهندس مدني

ـ ها أنت دبرت مهندس البناء والإشراف والهدم

ـ التيسير بيد الله أشكرك والى اللقاء السلام عليكم

***

سمع الوالد قصة صاحب الإعلامي عمر ورأى الفكرة مقبولة وقال : الهدم سهل اليوم .. عندما نرى مساحة القطعة وثمنها نرى الأفضل البناء أم شراء بناء جاهز .. أنا حدثت المهندس أبا ماجد عن رغبتك بامتلاك منزل مستقل في أي حي من أحياء شارعنا التاريخي ؛ ربما عمر هذا الشارع يا ساري قرن من الزمان منذ بدأت السيارات تظهر في المدن

ـ هذا عمر الإعلامي موظف رسمي في التلفزيون هو شقيق ناصر اذا تذكره

ـ كيف لا اذكره كان شابا نشيطا في المسجد ويساعدنا في توزيع الصدقات واعرف عمر أخاه ولكنه قليل ما صلى في مسجدنا واعرف زوج عمته وأبناءه

ـ التقينا قبل فترة بعد صلاة العشاء .. وتحدث كل منا عن أخباره وحياته .. وتذكر ذلك البيت بيت صديق له وجار في شارعهم حي علي رحل من البيت بعد وفاة والديه ليباع ويقسم البيت ضمن الميراث ؛ ولكنه اتصل بي اليوم يعلمني أن الأفضل هدمه كما قال له صاحبه .. فهو بيت من أوائل بيوت حي علي

ـ لا بأس سوف نراه واخوك والشركة التي يعمل فيها يقدرون هل يهدم أم يرمم ؟ وصاحبي أبو ماجد مهتم بالأمر كما أخبرتك فهذا الشارع طويل بشكل طولي وكثير من مبانيه هدمت وأعيد بنائها .. فأحياؤه الرئيسية خمسة .. وأحياؤه الصغيرة بالعشرات .. كل شارع اليوم اصبح حيا .. كنت اليوم عند الدكتور عبد الرحمن حسن شقيق الإمام صديق حسن وعضو لجنة زكاة الحي ويسلم عليك وحملني أمانة لك

ضحك ساري : قبل أن اعرف الأمانة لماذا ذهبت اليه ؟

ـ المرض المعتاد السكري وهو أخصائي في مثل هذه الأمراض.. هو ترك الباطني في المستشفى أو تقاعد ففتح العيادة من سنوات أو كانت مفتوحة على الأصح مع شريك له .. لي فترة غير مرتاح من ارتفاع السكر والضغط .. أنت تعرف عيادته

ـ على ما اذكر قبل دخول شارع عثمان بين شارعنا والذي قبله شارع السيدة قطر الندى ..

ـ صحيح هو دكتور محترم .. والأمانة أن عنده بنتا مطلقة من فترة ربما سنة يريد أن يهبك إياها

ضحك ساري : يهبني إياها لا تجوز هبة النساء ..

ـ القصد زواج بمبلغ بسيط رمزي

ـ ولماذا تطلقت ؟!

ـ السبب كما شرح أنها مطلقة بسبب عجز زوجها عن الإخصاب فراوا الأفضل تطليقها وهذا

ما حصل وهي بنت محترمة أنا وامك نعرفها

ـ وماذا تعمل أو الأصح ماذا درست طبيبة مثل أبيها ؟

ـ قلت له عن أولوياتك هذه الأيام بشأن البيت .. هي دكتورة شريعة تعمل معك في كلية الشريعة في نفس جامعة الصديق

صفن ساري وحك رأسه وقال متفاجأ : أوه ! لعلها الدكتورة هند عبد الرحمن

ـ هذا اسمها وهي تعرفك جيدا بحكم الجوار في الشارع وبنت أخ الشيخ صديق إمامنا والیوم بحكم العمل في جامعة واحدة

ـ وهل تعلم أن أباها يرغب بتزويجها لي ؟

ـ لست ادري !.. واذا تحتاج لرايي فهي مناسبة لك ولعبدالله .. السبب في قولي ذلك أنها لم تلد بعد ودكتورة مثلك وثالثا أبوها صديقنا وعزيرا على قلبي ورابعا والاهم هي بنت متدينة ستعامل ابنك بالعدل اذا ولدت منك ، وكان العقم من زوجها وهو قريب لها .. مرات القرابة تعيق الحمل

ـ فكرة تربية عبد الله الأهم فأنا اعرف أن أمي تعاني .. هل يمكن رؤيتها ؟

ـ سأكلم الدكتور ونزورهم في البيت .. أنت لا تجلس معها في الجامعة

ـ اجلس مع الزميلات بحدود ضيقة مدة أي الاجتماع أما أثناء الاستراحة لا أحبذ الجلوس أو الخلوة بهن .. فالجامعة فيها عدد لا بأس به من المحاضرات .. والفتيات يحتجن للأسئلة المحرجة التي تتعلق بصلاتهن وحيضهن ومعاشرتهن ..وهن اقدر على التفصيل لهن من الرجال نحن عادة نتكلم بعموميات أدبا ؛ فليس كل فتيات الشريعة جئن من اجل الشريعة

ـ يوجد من مثل تلك النوعيات .. فعرفنا مدرسين شريعة في المدرسة للأسف لا يصلون ولا يصومون حتى أمام الطلبة .. سأرتب جلسة يا أبا عبدالله مع الدكتور .. وهو يتمنى من كل قلبه أن تقبل بابنته المطلقة .. فيرى أن زواجها صعب إلا من ارمل مثلك أو مطلق أو اقل من مستواها العلمي .. وهو في نظري محق والكفاءة العلمية مطلوبة لحدوث الانسجام بين الزوجين

كانت مفاجأة لساري اختيار بنت الدكتور عبد الرحمن ، وحمد الله على هذا الاختيار إن تم ؛ لأنه بحاجة لأم لابنه الذي على وشك دخول المرحلة ما قبل المدرسة وقال : اعتقد أنها تستطيع رعايته خلال سنوات المدرسة ، ولن يتأخر دوامها في الجامعة مثلنا .. هي حسب ما اعرف بعيدة عن الدراسات العليا وسيكون لديها وقت للاهتمام به وإراحة امي .

***

رتب لهم عمر موعدا مع صاحبه لمشاهدة بيت حي علي في وضح النهار وبعد صلاة الجمعة ، وكان البيت في مساحة لا تزيد عن ثلاثمائة مترا مربعا ، عبارة عن طابق واحد مكون من الأربع غرف ومطبخ وحمام ثم أضيف اليه حماما آخر ، وغرفة على السطح ، وتبين لهم أن العيش فيه ممكن ، اقترح المالك الأفضل هدمه وبناء مكانه ، وسأل عمر صاحبه عندما رأى أن الجماعة يقبلونه عن ثمنه وسعره فقال الرجل الشاب لهم : نحن صحيح نبيع بيتا ؛ ولكنه ليس في نظري ببيت ؛ إنما قطعة ارض اكثر منها من بيت هل تخمنون رقما يا عمر ؟

قال عمر : أنا لا احب أن أظلمك ولا اظلمهم .. أنت اذكر رقما ونحن نساوم حوله بزيادة أو نقصان أنت شاورت الأسرة على أي رقم اتفقتم

ـ حسنا يا عم عبد المؤمن نحن كنا نرغب ببيعه بعشرين الف على أساس انه بيت وارض ، وبما أننا لم نبيع لليوم يكفي يا سادة خمسة عشر الف

قال عبد المؤمن : قبلنا ولن نساوم يا أستاذ رامي !

ـ خلاص أقول مبارك وكل أموال النقل والتسجيل ستكون مني هدية لكم

قال عمر : بارك الله فيك

وبعد حين اهتم رضا المهندس بمتابعة عملية الشراء ونقل الملكية باسم ساري عبد المؤمن ، ثم تابع مساعدته بعد انتهاء إجراءات نقل الملكية بهدم المنزل الذي استغرق اقل من أسبوعين واصبح المكان صالحا لبناء فيلا صغيرة للدكتور ساري

***

ولما انتهوا من عملية الشراء وتم الهدم ، وسيبدأ الإنشاء حسب المخططات التي قدمها رضا لشقيقه ليتفرغ ساري للخطبة والزواج ليفسح المجال لزواج رضا الذي اجل أي زواج إلا بعد أخيه الأكبر ، وكان عبد المؤمن بعد موافقة ساري المبدئية والرغبة بزيارة الأسرة ورؤية العروس بقصد الخطبة وعد الطبيب بزيارة للتفاهم والاتفاق ، وكان الدكتور عبد الرحمن ينتظر تلك الزيارة كما نقول بفارغ الصبر مع أن الخبر شاع في الجامعة أن الدكتور ساريا سيخطب الدكتورة هندا ، فالأخبار تمشي بين الناس وتسري حتى أن المرء يحتار كيف وصلت للناس ؟ حتى لإدريس زميل ساري لأنه هو يدرس اللغة العربية مثل ساري قال وهما يستريحان في مكتبهما المشترك : هل تطور الأمر ؟ سألتني الدكتورة إيناس عنك وعن الزواج من الدكتورة هند ؟

ـ لحتى الآن لم نلتق لأجل ذلك؛ لكن أبي اخبر والدها صديقه بقبولي المشاهدة أنا تفاجأت بانها معنا في التدريس ؟

ـ أنا كنت مستغربا انك لا تعرف أنها من سكان شارعكم الشهير أنت لا تعرف سياراتها

ـ شغلنا شراء البيت وهدمه عن مشروع الزواج ولا اعرف لون سيارتها

ـ هي تدرس أصول العقيدة اكثر من غيره .. وهي فتاة رائعة ؛ ربما اعرفها اكثر منك بسبب رئاستي لقسم كانت ضمنه

ـ أنا مع كل الدكتورات تحية وكلمات مقتضبة .. لا احب فتح مناقشات مطولة معهن .. مسائل قليلة حول إعراب آية أو مسائلها البلاغية

ـ أتمنى لك التوفيق معها كزميل وزوج

ـ الله يوفق .. قل للزميلات لم يحدث أي شيء قانوني بعد

ـ أنا قلت ذلك من قبل أن تتفوه به ؛ لأنني دهشت من حدوث خطبة ولا نعلم بها ونحن تجلس في مكتب واحد

ضحك ساري وعلق : أنت تعلم نقلة الأخبار لابد لهم من تزويد الأخبار وتلميعها كما نسمع

أخبار التلفزيون

ـ حتى اني سألتها قبل فتح الحديث معك قائلا لنفسي ؛ لعل ساريا خجل من ذكر ذلك فضحكت ففهمت أن شيئا لم يحدث .. نحن في عصر التكنولوجيا والفضاء من أين يأتي الزملاء والزميلات بهذه التفاصيل ؟

***

استقبل الطبيب الأخصائي عبد الرحمن حسن صديقه التربوي عبد المؤمن اسعد وابنه ساريا وزوجته الطبيبة والزميلة في الطب والمهنة الطبيبة طاهرة هود ، وكانت زوجته أم ناجح في الاستقبال وابنه الكبير ناجح بنفسه ، ولما جلسوا في صالة البيت حضرت الدكتورة هند بلباسها الشرعي ورحبت بالضيوف وبعد قليل قدمت أختها نورا الشاي للزوار ، ثم انتقل الحديث لدوافع الزيارة والاطلاع على ظروف ساري فقال الدكتور عبد : أنا كلمت أباك بصراحة أننا لا نريد شيئا منك يا دكتور من قبل أن تشتري الأرض لتبني عليها .. والدك صديق حبيب منذ التقينا في هذا الحي ووالدتك صديقة وزميلة لأم ناجح فهي طبيبة مثلها ، ولما اعلمني الوالد بكارثة زوجتك أم عبد الله آلمنا الوجع كما آلمك ، ولما تطلقت حبيبتنا هند وقع اسمك في قلبي ورجوت أباك أن يسعى في ذلك لحبي لكم .. والمحبة نعمة من الله .. وأنت دكتور وعندك طفل بحاجة لأم فاحتمال كبير أن تصبح هند أما بمشيئة الله كما ستكون أما لعبد الله

وتحدث الجميع حول الصداقة والعلاقات الاجتماعية والتقارب والتباعد ثم قال الدكتور : نيابة عن ابنتي لا نريد منك أي مهر سوى مهر رمزي .. نحن في الأسرة تحدثنا بذلك ؛ ليس شفقة ولا عطفا إنما محبة وديانة .. فالدكتورة تعمل في الجامعة من قبل عودتك للبلد وقد فقدت زوجتك ابتلاء من الله تعالى .. فلذلك أرجو يا أبا رشيد ويا أم رشيد بها أننا سنصير أهل بعد صداقة عمر وجيرة سأقوم باستئجار شقة لزواجكما العاجل لا داعي لتأخيره حتى تنتهي من البناء والتشطيب؛ وليس هذا تقليلا من مقامكم ؛ بل من حبي لكم ولا يعتبر ما اقدمه هدية وعنوان محبة بل اكثر من ذلك .. وهند والأسرة موافقه على ما اقترحه

قال ساري : هذا كثير يا عم .. وانا املك المال من عملي في بريطانيا .. هناك كما هنا دراسة وعمل في نفس الوقت

قال عبد المؤمن : اقبل قول الدكتور يا ساري .. وعلينا يا دكتور تأثيث الشقة ووضع المتأخر

قال عبد الرحمن حازما : الإيجار والأثاث يا صديقي هدية أرجو أن تقبلوها ..الحفلة خلاص عليك يا أبا رشيد

قالت أم رشيد : جهاز العروس علينا والأساور

قالت العروس : وماذا عليّ أنا ؟

ضحكوا وقال عبد المؤمن : عليك البركة وترعي عبد الله وأباه وإن شاء نفرح بابنكما

أعلنت الخطبة وتقرر أن تكون حفلة الزواج بعد استئجار الشقة المناسبة وتجهيزها ليكون حفل العرس بعدها ، وكان ذلك بعد أسابيع قليلة من الاتفاق

***

سعدت هند بزواجها الجديد سعادة كبيرة ، فزوجها من رجال الحي من أيام شبابه الأولى وكثيرا ما سمعت ترتيله للقرآن أثناء صلاة التراويح في مسجد عمها صديق ؛ حيث كن وما زلن كلما تتاح لهم الفرصة المشاركة في صلاة التراويح ، ولها معرفة بأخواته حاصة رحمة ورضوى فهن صديقات بنات عمها الإمام ، واستغربت لما علمت انه توجه لدراسة اللغة العربية فقد كن يتوقعن أن يدرس شريعة ، ولكنه لم يفعل وزاد الاستغراب لما علمن بسفره لبريطانيا ، ثم زواجه من إنجليزية ، وهي لما سجلت للماجستير زوجها أبوها لابن قريب له ، فدرست الماجستير والدكتوراه وهي زوجة ، ولكنها لم تحمل منه طوال سنوات الدراسات العليا ؛ فكان الطلاق هو الحل ، ولما رجع ساري ارملا فكر أن يزوجه ابنته ، وكرر ذلك على مسامع عبد المؤمن صديق الشارع والحي والجامع والعمر ، ولما تحقق ذلك فرح فرحا غمره واسعده الفرح فهو محب لساري من أيام صغره وحتى لما شقيقه سعى لتزويجه من ابنته شجعه على ذلك المسعى .

***

هبة الله تعالى

احتفلت الكلية احتفالا خاصا بزواج مدرسين فيها بالزواج الغريب في نظرهم ، ودعوا لهما أثناء الحفل بالتوفيق والبركات ، وكان ساري وهند ينتظران انتهاء البناء بشوق كبير ، فهو سيكون عش زواجهما وحياتهما ومرتع أطفالهما ، ولم يطل انتظار هند بالحمل فقد تحقق خلال الشهر الثالث من الزواج ، وأقام عبد الرحمن حفلة ابتهاجا بالإعلان عن الحمل ؛ لأنه كان قلقا بألا تحمل، وأن ليس العوق من قريبه بل من ابنته ، وتصدق بمال كأنه كان ناذرا نذرا بهذا ، وكان هو وزوجته ينتظران المولود ربما اكثر من هند ، ولما قرب الموعد أخذت إجازة من التدريس بموافقة ساري ، وكان بيتهما على وشك النهاية ، ويستعد هو الآخر لاستقبالهما للعيش فيه .. وكان البيت تحفة هندسية جميلة تلفت نظر كل من نظره من سكان الشارع أو عابر سبيل



***

بعد الولادة احتفلت العائلات بالمولود عبد المؤمن وبالبيت الجميل ، وكان بيتهم مثيرا للرؤية لمن مر من الشارع فتراه يقف يتأمل روعة البناء ، ويسأل أي مهندس صمم هذا؟! فيشار لرضا عبد المؤمن وكان عبد الرحمن يقول له : مهندس أصيل يا رضا لو عندي بنت لجعلتك عديلا لشقيقك الفاضل والعالم

فيشكره رضا قائلا : سأتزوج قريبا من ابنة مدرس لي في كلية الهندسة

ـ قال لي حبيبي عبد المؤمن .. نحن أصدقاء عمر وتعودنا على كشف أسرارنا لبعض

ـ هذا معلوم لدينا في البيت من قبل زواج ساري

ـ هل تتعلمون هذه التصاميم في الجامعة ؟

ـ لا ، نتعلم فيها التصميم بشكل عام بدون إبداع ، أما التحف المعمارية فثقافة واطلاع

*الهندسة المدنية التي تعلمها رضا هي فرع من فروع الهندسة تهتم بتصميم الأبنية ، وصيانة البنية التحتية والمشاريع الهندسية الضرورية للمجتمعات الحديثة .. تشمل هذه المشاريع مجموعة واسعة من الهياكل والأنظمة، بدءًا من المباني والجسور والطرق وصولًا إلى شبكات المياه والصرف الصحي، وأنظمة النقل، وغيرها .يهدف المهندسون المدنيون إلى ضمان سلامة واستدامة هذه المنشآت، مما يساهم في تحسين جودة الحياة ورفاهية المجتمع وباختصار الهندسة المدنية هي حجر الزاوية في بناء المجتمعات الحديثة، حيث يلعب المهندسون المدنيون دوراً حاسماً في تصميم وتنفيذ وصيانة البنية التحتية التي تدعم حياتنا اليومية*

***

وقال رضا مضيفا : المهتم بالتحف المعمارية والشكل ، هو المهندس المعماري اكثر من المدني الهندسة المعمارية هي فن وعلم تصميم وتخطيط وتشييد المباني والهياكل الفنية الجميلة والإبداعية الرائعة ، مع الأخذ في الاعتبار الجوانب الجمالية والوظيفية والتقنية والبيئية للمبنى .. يهتم المهندس المعماري بتحويل الأفكار والخيال إلى واقع ملموس ، مع مراعاة احتياجات المستخدمين والبيئة المحيطة والمكان والحي .. فاستعنت بمهندس معماري وتابعت التصميم والجمال في مبنى صديقي واخي ساري .

قال : رائع رائع لو لا العمر لشيدت بيتا مثله

ـ أطال الله في عمرك

ـ متى سنفرخ فيك ؟

ـ قريبا كم شهر وتتخرج من الكلية .

ـ ماذا تدرس هي ؟

ـ إدارة أعمال هي اصغر مني بسنتين .. فوالدها مهندس قديم في الكلية فعرفني عليها أثناء الجامعة ونتيجة حوار قال جادا استعد لتكون زوجا لها فأنا اعرف والدك وشقيقي يعرفه اكثر مني

ـ لابد انني اعرفه فأصحاب أبيك أصحابي

ـ احد شركاء أبي في مدرسة ابن عباس

ـ سعيد

ـ نعم هو

ـ يا الله هو رجل فاضل ! ونعم النسب من مؤسسي المدرسة ودرسا معا

***

استعان ساري بخادمة أجنبية لمساعدة أم عبد المؤمن في رعاية الأطفال ، وفي تنظيف المنزل الكبير فهو من طابقين ، وتعمقت الصداقة بين ساري وعمر ابن الحي حي علي ، وكان شقيقه ناصر سعيدا بمجاورة ساري لبيت أسرته واخيه عمر حتى أن ساريا تألم جدا وزوجته لما تعرض ابن لعمر لحادث مروري قرب الشارع الرئيسي عندما فقد سائق السيطرة على سيارته وجنحت للرصيف ، وكان خالد ابن ست سنوات بكر عمر يقف على الرصيف يتفرج على السيارات وأمه تشتري بعض الأغراض من بقالة قريبة ، ولكن الرجل وأهله تقبل القضاء بكل صبر وتحمل .

ولم يمض على حادث خالد عمر بضعة أسابيع حتى كانت فاجعة أخرى تلم ببيت عبد المؤمن اسعد ، لقد اتصلت وزارة الخارجية تخبره بوفاة ابنه رشيد في حادث اطلاق نار في الدولة التي يشتغل فيها ؛ فكان هو احد ضحاياه ، فاتصل بساري على الجامعة الذي غادر الجامعة إلى بيت والده مرتعبا فوجد شقيقه رضا وأخواته وزوجته وبعض الأقارب في منزل العائلة والحزن يغمرهم وأن عليه السفر مع أبيه وشقيقه وعم لهم إلى ذلك القطر الخليجي لمعرفة ملابسات الحادث وخلال ساعات كانوا ينتقلون للمطار الدولي ويركبون الطائرة المسافرة لذلك البلد بتسهيلات من سفارة البلد المقيم فيه رشيد عبد المؤمن ، حيث تبين لهم أن نزاعا حادا بين أشخاص في الشركة التي يعمل فيها رشيد مما دفع احد الموظفين باغتيال أربعة ممن كانوا يعملون في المكتب ، وسبب النزاع عملية نصب من قبل موظف على زميل له وطالبه بإعادة المال وذاك

يرفض ؛ لأنه هو الآخر اشترى ، ولم اصر البائع على عدم الاعتراف بعملية النصب وإعادة المال لزميله اخرج المشتري سلاحا وقتل الأربعة العاملين في المكتب ، ثم اطلق النار على نفسه منتحرا وكان رشيد وشاب آخر ليسوا مواطنين أصليين ؛ إنما هما متعاقدان مع الشركة ويسمون مقيمين في نظر الخليجي .

تعهد مدير الشركة بدفع الدية لأهل الضحايا الأربعة ، وشارك أبو رشيد واخوه وولداه وبعض أقاربهم وأصدقائهم في تلك الدولة بالصلاة على رشيد أبي أسامة ودفنه في مقبرة قريبة من تلك المدينة ، وبعد تسوية الأوضاع المالية مع الشركة ووثائق الأسرة عادت معهم أرملة رشيد التي هي بنت احد أخواله وأطفالها الثلاثة إلى ارض الوطن ؛ حيث أقام القوم حسب العوائد المتبعة سرادق عزاء ومواساة في جمعية العائلة الخاصة التي تهتم برعاية فقراء ومحتاجين عائلة الأستاذ عبد المؤمن اسعد وأم المعارف والأصدقاء بيت العزاء ، ويستمر العزاء الجماعي ثلاثة أيام ثم يصبح الميت ذكرى وحسرة على أهله .

رشيد لم يكن يملك بيتا عندما تزوج كان مستأجرا شقة ، ولما رجعت أرملته سكنت مع أسرة والد زوجها ، والبيت كما هو معروف لنا واسعا فالطابق الثاني طابق الأولاد فمنذ تزوجوا وهو فارغ وكان منامات للضيوف من البنات وأزواجهن وأطفالهم ، لأن رضا لما تزوج لم يتزوج فيه أصلا ، فقد استأجر شقة حتى بعيدة عن شارع سيدو عدنان ، كان عبد المؤمن في حيرة من امر أرملة ابنته ، فهي ما زالت شابة تحتاج لزواج ، والأطفال بحاجة لأم ، وجرى نقاش بين والدها ثابت شقيق طاهرة وبين عبد المؤمن وزوجته ، فطرح اقتراح أن يتزوجها ساري ضرة لهند ، ولما عرض الاقتراح على ساري اعتذر عن التعدد ، ومضت شهور العدة الشرعية والمشكلة تشرق وتغرب ، وأحبت الفتاة البحث عن عمل فهي كانت تعمل في التدريس ، وتيسر لها ذلك مع أول فصل دراسي ، فاضطرت عائلة عبد المؤمن من تشغيل خادمة لهم تساعد الدكتورة طاهرة في العناية بهم .

لم تبد البنت الأم اهتماما كبيرا في الأطفال ، وعلمت عمتها رغبتها بالزواج بعد مرور سنة على

الترمل ، ولم يجز منعها من ذلك ، فتيسر لها الزواج من ابن عم لها كضرة مع زوجته، فقبلت ؛ ولكنه رفض قبول الأطفال معها ، فالتزمت بهم السيدة طاهرة فهم أحفادها ، في هذه الفترة كانت اتصالات تجري بين روبرت واديث بنقل عبد الله للدراسة في إنجلترا تحت رعايتهم بدلا من تبني طفلا ، وبعد مشاورات أسرية وافق ساري برحيل عبد الله عند خالته، وهو كما نعلم ورث عن امه مبلغا كبيرا ، فحضروا للبلد وأخذوه ليتعلم في بريطانيا ، ولما انتقل عبد الله الصغير لمدرسة إنجليزية ، وبعد وضع هند طفلتها فاطمة التي كانت تحمل بها قبلت بعيش أولاد رشيد في بيتها هم وشغالتهم ، لأن هندا بعد مولودها لعبد المؤمن توقفت عن التدريس من اجل رعاية عبد الله وعبد المؤمن ، ولما رحل عبد الله وانتهى الحمل انتقل أبناء رشيد لبيتها فرعاية الأيتام عبادة في الإسلام فهم أولى بهم من غيرهم .

***

*توجد في بريطانيا مدارس إسلامية متعددة، بعضها يحظى بسمعة طيبة ويحقق نتائج أكاديمية متفوقة ومن بين هذه المدارس ، مدرسة توحيد الإسلام للبنات في بلاكبيرن التي تصدرت قائمة أفضل المدارس في المملكة المتحدة عام ٢٠١٩ .. كما أن هناك مدارس إسلامية أخرى حققت مراكز متقدمة في قوائم التقييم ، مثل مدرسة عدن للفتيان في برمنغهام ومدرسة عدن للبنات في كوفنتري .. المدارس الإسلامية في بريطانيا حققت نجاحات أكاديمية ملحوظة.. احتلت بعض المدارس الإسلامية مراكز متقدمة في قائمة أفضل المدارس على مستوى المملكة المتحدة. .تتميز هذه المدارس بقدرتها على الجمع بين التفوق الأكاديمي والتميز التربوي.*

*تعتبر المدارس الإسلامية في بريطانيا من المدارس الخاصة ، ولا تتلقى بالضرورة دعماً حكومياً كبيراً . . يشير نجاح هذه المدارس إلى أهمية توفير تعليم إسلامي ذي جودة عالية في بريطانيا .. جاءت ثمان مدارس إسلامية ضمن أفضل عشرين مدرسة على مستوى بريطانيا ضمن تقرير نشرته الحكومة لقائمة تضم ٦ آلاف و ٥٠٠ مدرسة على مستوى البلاد ، لتقييم أداء الطلاب فيها .*

*حققت المدارس الإسلامية هذه المراكز رغم افتقارها إلى الدعم الحكومي، فهي لا تتلقى الدعم الذي يتم صرفه للمدارس اليهودية والمسيحية من قبل الدولة تحت بند دعم المدارس الدينية .. ويبلغ عدد المدارس الإسلامية في المملكة المتحدة نحوًا من ١٦٠٠ مدرسة تضم ما يزيد من ٢٠٠ ألف طالب يعد هذا إنجازًا حقيقيًا للمسلمين ورسالة طمأنة في ظل موجات الرهاب من الإسلام التي تعم المجتمع البريطاني.*

***

كانت وجهة نظر هند لترك التدريس لحين أن رعاية الأطفال اهم عندها من التدريس ، وصعب عليها المؤامة بين التدريس ومشاكله ومشاغباته ووقته وبين رعاية الأطفال ، ويمكنها العمل في التدريس في أي وقت فقالت لنفسها : لا بأس من بضع سنوات من أجلهم .

وزوجها لم يكن بحاجة لدعمها المادي للحياة الطيبة الكريمة ، فدخله يؤدي الغرض إلى حد كبير ، والبيت رغم انه اخذ اغلب مدخراته فلم يكن عليه أي دين إلا مبالغ بسيطة سددها لأبيه بكل يسر ، ولما انتقل أولاد شقيقه لحضانته تكفل بمصروفهم والنفقة عليهم بدون تردد ، وصمم والداه على المساهمة ؛ لأن أموال رشيد وضعت في مؤسسة رسمية ترعى أموال الأيتام حسب قانون رعاية أموال الأيتام والقصر ، وحتى انهم لم يطلبوا منها أي مساهمة في الإنفاق عليهم .. بل هو واجب عليهم .

وكان الزوجان يحرصان على الاتصال بعبد الله يوم السبت أو الأحد فهما يوما العطل الرسمية في الغرب عامة وبريطانيا خاصة ؛ حيث تبدأ العطلة الأسبوعية من مساء الجمعة إلى صباح الاثنين ، حتى أن عطلة اليومين سرت إلى الكثير من دول العالم الإسلامي والعربي حتى انك تجد كليات الشريعة تتوقف عن التدريس يوم السبت مع الجمعة ؛ بل هناك دول تعطل السبت والأحد ولا يعطلون الجمعة ؛ إنما يسمحون بوقت لإداء صلاة الجمعة لمن يصليها .

***

## الأرملة ايمان

كان زوج الأرملة ايمان ثابت يشعر بتقصير اتجاه أبناء زوجته الثانية إيمان فقال لها ليلة : أنت مرتاحة من ترك أبنائك عند هند !

ـ هذه هي الحياة .. وأنا تركتهم عند جدتهم طاهرة .. هل انتظر أن يتصدق علي عمي مصروفا لهم ؟

ـ عمك رجل صالح ..

ـ ولماذا أرسلهم لزوجة ابنه؟

ـ أرسلهم رغبة من هند باسم كفالة الأيتام .. كان نحن أولى بهم .. وهم يملكون المال كما علمت من والدك .. أنا قبلت بتركهم ؛ لأن حياتي الزوجية مع نوال ليست على ما يرام

ـ الكل يعرف ذلك .. ومن اجل ذلك قبلت نداء أبي وتزوجتني .. شكواك منها زكمت أنوف البلد كلها

ـ يبدو لي من جلساتي الشاعرية معك أن حياتك مع رشيد معثرة .. لم تكوني سعيدة معه

ـ لم تكن معثرة ؛ ولكن اكثر وقته في العمل

ـ هكذا تريد الدنيا منا

ـ ألا ترغب بالحمل مني .. وتتوقف عن أخذ الإبر ؟

ـ لا ، لا حاجة للحمل عندي أربعة من نوال ..وأنت عندك ثلاثة من رشيد فلماذا المزيد ؟! أنا يؤنبني ضميري من تركهم لساري أو الأصح لزوجة ساري ..كنت وهم عند الطبيبة أرى الأمر هينا على النفس هي أم أبيهم حتى الدكتورة منذ ولدت ابنها عبد المؤمن تخلت عن الشغل

ـ أنا لم أتخل عنهم للشغل .. لكني احب العمل وحرمني منه رشيد

ـ حرمك من اجل الأطفال

ـ أريد أن احبل

ـ تمهلي لست بعجلة لمزيد من الأبناء

ـ هذا ليس عدلا

ـ ما دام هذا ليس عدلا لمَ تركت الأطفال ؟

***

كانت رغبة إيمان بالإيلاد عارمة ؛ لأنها رات أن زواجها من حاتم شفقة وعطف اكثر منه عن قناعة وديانة ، فكانت تظن بوجود ابن بينهم سيزيد من عمق العلاقة بينهم ،لكن حاتما لا يرى ذلك الرأي ، قبل بها زوجة بضغط من والدها وإغاظة لزوجته التي كانت تهدده بالطلاق فلذلك لما أصبحت ايمان في بيته قل شغبها ، وعلمت أن حياتها الزوجية على كف عفريت كما نقول فلزمت الصمت والتأني ، وكانت ضرتها مصرة على الإنجاب وزوجها حاتم يصر على تأجيل ذلك حتى مضت سنتان دون أن يلين فقال لها : أنا قبلت بك للاستمتاع فقط عندي أربعة يا بنت الحلال واذا حاولت الحمل سيكون نهاية حياتنا الزوجية

ـ ما رايك أن تطلقني ما دمت فقط لمتعتك الشخصية ؟

ـ شاوري والديك أنا تعبت من المعاشرات هنا وهناك

ـ بجد تعبت ! وأين رغبتك بنكاح وجمع أربعة نسوة مثل فلان ؟

ـ امزح .. اذا موضوع الخلفة يؤرق بطنك شاوري أهلك لنخرج بالمعروف كما دخلنا بالمعروف

ضحكت وقالت بغيظ : ربيت بي أم سليم نوال

ـ أم سليم لا تحتاج لتربية .. فهي اعند من الحجر لا تغير فكرة في مخها أبدا

ـ سأعرض الأمر على أبي

***

شكت ايمان أمرها لأبيها وأن زوجها يعتبرها مجرد زوجة للمتعة ، ولا يرغب بالإنجاب منها وان ذلك الأمر لا يريحها ويقلقها ، وترغب بتركه والعيش مع أطفالها وأيتامها بدل أن تكون امرأة لقضاء الشهوة فحسب ، فصعب الأمر على أبيها وأخوتها ولم تعجبهم وجهة نظر حاتم الجنسية فقط ، وجلسوا معه جلسة استفهام وإيضاح فقال لهم : أنا عندي أربعة أطفال .. عشرة

فما دون .. وهؤلاء يحتاجون لرعاية وتعليم اذا عشنا ولم تعد التجارة بكثرة المواليد مهمة لي

ـ ولد واحد منها أو اثنان تستمر الحياة

ـ اقترحت عليها جلب أولادها لما رأيت جموحها نحو الأمومة وهي التي وعدتني أثناء فترة الخطبة لتركهم لحماتها أم رشيد

ـ نحن راينا ذلك يا ابني حتى تعطيك كل حياتها ، ولا تشكو لنا أنت من أطفالها ازعجوني لا يحبونني فقلنا اختصار الشر من أوله

قال حاتم : ممكن أن يحدث هذا ؛ فلذلك قبلت فكرة ترك أبناء رشيد لأهله .. وها هم اليوم في رعاية أستاذة الشريعة بنت الدكتور عبد الرحمن .. وهم منسجمون كما قيل مع عبد المؤمن وفاطمة الرضيعة

ـ غير رايك لتستمر حياتك معها يا ابن أخي

ـ بصراحة يا عمي تسرعت بالتعدد ..

قال أخ لها يحضر الجلسة : لن تغير فكرك .. خلاص يا أبي الانفصال افضل لهما .. زواج بدون أطفال ما هو بزواج .. ها نحن نرى أي زوجين لم ينجبا لا يتركان أي دكتور عقم دون أن يزوراناه .. وبعضهم يذهب للسحرة والحجابين لعله يسعفه بطفل أو اكثر

قال ثابت العم : حسن يا حاتم .. سأعطيك مهلة شهر زمان تراجع فيها أفكارك نحو الإنجاب من ايمان لتبق زوجة لك وتتوقف عن اخذ الموانع .. هل تأخذ منها شيئا من عملها ؟

ـ لا ، ولا فلس مع الاحترام ..هي شحيحة لا اذكر أنها اشترت شيئا للبيت سوى بعض أصابع الشكولاتة لي ولضرتها وأولادي

ـ يعني لم تهبك مالا من راتبها

ـ أنا لم اطلب ، وهي لم تنتخ

***

حاولت ايمان حل عقدة حاتم بالخلفة بالمال وإعطائه من مالها بنصيحة من والدها ؛ ولكنه لم

يتزحزح ولم يقبل بمزيد من الأطفال منها أو من نوال ؛ فكان الانفصال بالمعروف هو النهاية لعلاقة شرعية زادت عن سنتين بدون انجاب ، فقبل عبد المؤمن أن تعود للعيش مع أحفاده في منزله ، وتعهد لوالدها بأن يستمر بالإنفاق عليهم بدون إسراف ولا تبذير ولا فلس من أمهم ومالها وراتبها لها وحدها ، فسر ذلك ايمان ، واستسلم ساري وهند لرغبة الأب ورحل أبناء أخيه للعيش مع أمهم من جديد ، وكان يقول لزوجه : هي التي لم تصبر على رعايتهم والمكوث معهم سنة زمان ، فمنذ انتهاء عدة الوفاة وهي تتحدث عن رغبتها بالزواج ؛ ربما تصبر حتى تنهي عدة طلاقها من ابن عمها حاتم وتبدأ بالطنطنة لزوج جديد .. امرأة عجولة تزوجها شقيقي رشيد ـ رحمه الله تعالى ـ من اجل خاطر أمي عمتها ؛ ليس رغبة قوية فيها .. أمي أحبت تقوية صلاتنا مع أخوالنا بزواج ابنها الكبير منهم .

قالت هند : الحمد لله .. والله نحن تعاملنا مع الأطفال بحس الإسلام والمسؤولية واجر كفالة الأيتام ؛ لعلها استفادت من تجربتها مع ابن عمها .. هل ستعيد عبد الله للعيش معنا؟

ـ خالته راغبة أن يبقى معهم ؛ ولكنه كل اتصال في الآونة الأخيرة يشكو لي من حياة لندن وفسادها مع انه يدرس في مدرسة طابعها ونفسها إسلامي ..فالأفضل أن نعيده ما دام أبناء أخي رحلوا

ـ نعم ، متى إن شاء الله؟

ـ كما خططنا سنذهب للحج بإذنه تعالى ، ثم من هناك لبريطانيا لمدة أسبوع واحد فقط ونعود به.. فقد طلبت من روبرت ترتيب أموره فقال : ما دام ملّ منا فله الحق بالعودة لديار أبيه روبرت تعلقه به اقل من خالته .. فلم يوهبا ذرية .. هذا الدكتور تعرفت به عندما انتسبت للمعهد الإنجليزي للتقوية بتلك اللغة ، رغم أن تخصصي بعيد عنها ؛ لكنني رأيت من المناسب إتقانها ومعرفة فنونها

ـ كيف صحة عمي اليوم ؟

ـ ما زال متعبا .. أبي هرم ربما دخل في السبعينات .. وأتمنى لنا وله حسن الخاتمة فقد ترك كل

أعماله الدنيوية المدرسة واللجان في المسجد

ـ نعم ، السن له دوره في حياتنا وكذلك والدي يعاني من أمراض الكبر وأمي مثله

ـ هل تركوا العمل ؟

ـ أبي وكل أخي ناجح بإدارة العيادة وأمي من سنوات مثل امك تركت الوظيفة

ـ للزمن والأيام مفعولها على من يكبر .. الحج اقترب ربما ثلاثة أسابيع ويبدا الموسم

***

رحلة الحج بالطيران اسهل من رحلة الحافلات البرية خلال ساعات يكون الحاج في بلاد الحرمين ، وينتقل محرما لفنادق مكة الضخمة ، وتقوم شركة الحج بتسهيل أداء العمرة أولا ويوم التروية تنقلهم إلى منى ثم عرفات ومناسك الحج كلها وفي اليوم الثالث تبدأ المغادرة لتلك الديار ، ومنها من جدة سافرا البريطانيا ؛ حيث استقبلتهم الأسرة في مطار هيثرو الدولي ، وبعد استجمام ونزهات تسلم ساري ابنه وحاجياته والهدايا الخاصة به وعادوا للبلاد سالمين فرحين وكان والد ساري يدخل المستشفى لساعات أو ليلة ويخرج منه ، وبعد أسابيع قليلة من عودة ساري من رحلة الحج وبريطانيا رحل كما رحل غيره من البشر ، وترحم عليه محبوه وذريته ومن افضل ما يترك الرجل المسلم خلفه ولد صالح يدعو له كما حدث النبي ﷺ أن رسول الله قَالَ (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ. أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ. أو ولد صالح يدعو له . يعني: عندما يكون لك ولد صالح ويعيش بعدك فإنه سيدعو لك، فقيد الولد بالصلاح؛ لأن الولد غير الصالح لا يدعو لك، وإن دعا فلن تنتفع بدعائه، ولكن انتفاعك يكون بالولد الصالح ، الذي تربيه على كتاب الله وعلى سنة النبي ﷺ، فهو الذي يدعو لك بعد وفاتك، والولد هنا جنس، سواء كان ابنك أو ابن ابنك، وهكذا الأبناء طالما فيهم من يذكر الله سبحانه ويصلي لله ويعبده، فإنك تؤجر وأنت في قبرك، ولا يزال كتابك مفتوحًا تؤجر عند الله على ما يعمله هذا الولد؛ لقول النبي ﷺ: (الولد من كسب أبيه).

***

مساعد العميد

*العميد الجامعي هو مسؤول إداري رفيع المستوى يشرف على كلية أو قسم أكاديمي معين.. أما معيد فهو عضو هيئة تدريس مبتدئ ، عادةً ما يكون طالب دراسات عليا ، يساعد في التدريس والإشراف على الطلاب . .يُعتبر العميد مسؤولًا عن الإدارة الأكاديمية لكلية أو قسم معين . . يشرف على أعضاء هيئة التدريس، ويشارك في وضع الخطط الدراسية، ويساهم في تطوير البرامج الأكاديمية . . قد يكون العميد هو المسؤول الأكاديمي الرئيسي في المؤسسة التعليمية . . يعين عميد الكلية من أعضاء هيئة التدريس المتميزين بالكفاءة العلمية والإدارية بقرار من وزير التعليم العالي بناء على ترشيح مدير الجامعة . . يتولى العميد إدارة الشؤون العلمية والإدارية والمالية للكلية ، ويقدم إلى مدير أو رئيس الجامعة في نهاية كل سنة جامعية تقريراً عن شؤون التعليم وسائر وجوه النشاط في الكلية .*

*يلعب العمداء دورًا محوريًا في تشكيل المستقبل الأكاديمي والإداري لمؤسساتهم من خلال الإشراف على الأقسام المختلفة والتأكد من تلبية المعايير التعليمية. .تتطلب رحلة العميد اكتساب فهم متعمق للجوانب الأكاديمية والإدارية للتعليم العالي. . وتتطلب مهارات قيادية قوية ، ومهارات تواصل ممتازة ، والقدرة على اتخاذ قرارات استراتيجية تعود بالنفع على المؤسسة ككل. . يتمتع معظم العمداء بخلفية تعليمية واسعة ، تشمل عادةً شهادات البكالوريوس والدراسات العليا. . وتشمل مجالات الدراسة القياسية إدارة التعليم ، وإدارة الأعمال، وتخصصات أكاديمية محددة مرتبطة بقسمهم. . غالبًا ما يُتوقع الحصول على درجات علمية متقدمة ، مثل الماجستير أو الدكتوراه ، بالإضافة إلى شهادات في القيادة والإدارة التربوية .*

*يبدأ العديد من العمداء مسيرتهم كأساتذة أو إداريين، مكتسبين بذلك رؤى قيّمة في الجوانب الأكاديمية والتشغيلية للتعليم العالي.*

*أما مساعد العميد الجامعي فهو مسؤول إداري في الكلية أو الجامعة، وهو يساعد العميد في إدارة الشؤون الأكاديمية والإدارية والمالية للكلية ، يتولى مهام متنوعة تتعلق بالطلاب وأعضاء*

*هيئة التدريس والبرامج الأكاديمية . .تشمل مهام مساعد العميد الجامعي ما يلي: دعم العميد في إدارة الكلية ، يشرف على الأنشطة الإدارية المختلفة ويقدم الدعم للعميد في اتخاذ القرارات . .يشارك في وضع الخطط الدراسية ومراجعة البرامج الأكاديمية، والإشراف على سير الامتحانات والتقييمات . .يقدم الاستشارات للطلاب فيما يتعلق باختيار التخصصات والإرشاد الأكاديمي ، ويساعد في حل المشكلات التي تواجههم . .يساهم في تعيين أعضاء هيئة التدريس وتجديد عقودهم وتقييم أدائهم . .يشارك في تطوير المناهج الدراسية والبرامج الأكاديمية ويسعى لتحسين جودة التعليم . .يتعاون مع الأقسام الأخرى في الجامعة والكليات الأخرى والجهات الخارجية ذات الصلة . . بشكل عام، يعتبر مساعد العميد الجامعي حلقة وصل مهمة بين العميد والطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين في الكلية، ويلعب دورًا حيويًا في تحقيق أهداف الكلية وضمان سير العملية التعليمية بسلاسة*

***

نقل الدكتور ساري إلى كلية اللغة العربية مساعدا للعميد في إدارة قسم اللغة العربية ، فقبل القرار وغادر كلية الشريعة ليعود للقسم الذي تخرج منه قبل عقد ونصف من الدراسة ، وبالطبع خلال هذه المدة تقاعد أعضاء من الإدارة ومن هيئة التدريس ، ومات بعضهم فوجد الكثير أيضا ما زالوا يعملون في قسم اللغة العربية ، عادة أو ربما التقاعد في الجامعات اختياريا ليس له سن ، لأنك تجد مدرسين تجاوزت أعمارهم الستين والسبعين فهؤلاء يعتبرون خبرة كبيرة للقسم والكلية .

وواجه ساري بداية مشاكل إدارية واعتراضات من بعض العاملين لتعيينه مساعدا دونهم ويحسبون بأنهم اكبر منه سنا واقدم في الكلية وأكثر خبرة ، واجتهد الدكتور ألا يكترث لهم واعتبرها نوعا من الغيرة أو الحسد الفطري في البشر . . وكانت تشتد أياما ، ثم ترقد أياما أخرى والعمل الاكاديمي ماشي حسب الخطط الموضوعة له قبل انتقال ساري للإدارة والقسم والعميد يشجعه ويقول له : لا تهتم سيصمتون بعد حين . . لقد استيقظوا لما أحضرناك إلينا

أنت أصلا ابن كلية وقسم اللغة وعملت معنا بعد تخرجك وقبل سفرك لبلاد الإنجليز

قال : اشكر ثقتك بي وحبك العمل معي

ـ أنا اعرف منك بالنفوس .. لنا فترة نطلب مساعدا للعمادة لم يتحرك احد .. يريدون العمادة نفسها

***

كان عمر جار الشارع وزوجته أم خالد قد جاءا للسهر مع ساري وهند وللتهنئة بمنصب المساعد للعميد ، والذي يقربه درجة لعمادة القسم أو كلية الآداب كلها في يوم ما .. وكان حديثهم عن ذكريات الجامعة ونشاطهم حتى ذكر عمر قصة قائلا : مرة ـ وضحك ـ فتاة معي في قسم الإعلام تسألني عن الحب

فانتبه ساري بتركيز اكثر فهو له ذكرى مع هذا السؤال القصير والمثير ولم ينساه لليوم ، وتابع عمر فقال : وقالت : هل الحب حلال يا سيد عمر ؟ فدهشت من سذاجة السؤال وقلت : السؤال يا سلوى غير واضح عن أي حب تتحدثين عن قيس وليلى أو روميو وجولييت أو عن حبك لامك أو جارك.. فقهقهت وقالت : يا عمر عقدت السؤال ! كنت اجلس مع نادية ـ طالبة معنا ـ فقالت : لماذا بعضنا يعمل علاقات حب مع الآخرين ؟ وبعضنا لا تعمل علاقات وتحرم ذلك على نفسها وعلى الآخرين ؛ كأننا ندرس في كلية الشريعة؟ فقلت لها رغم بساطة السؤال فجوابه معقد هل مر عليك مثل ذلك؟

ضحك ساري والتفت لزوجته وزوجة صديقه وقال ضاحكا : لقد مر عليّ هذا السؤال البسيط والمعقد وانا ادرس في الثانوية العامة وآخر سنة .. القصة كنت يوما عائدا من المدرسة مدرسة أبي مدرسة ابن عباس هي خارج شارع سيدو عدنان .. وكنت اذهب إليها مشيا على الأقدام .. ومن فضل الله علي لم اعرف قصص معاكسة البنات أو سماع أشرطة غناء عبد الحليم وأم كلثوم مطربي ذلك الزمن حتى السينما عمري ما حضرت فيلما فيها

ـ تابع .. صب الشاي لنفسه وقال : احاديث الذكريات تثير الشجون وتبين سذاجة احدنا

ـ المهم لما دخلت شارع عثمان شارعنا من الشارع الرئيس حيث عيادة عمي التي تقع بين الشارعين ومطلة على شارع سيدو ولما دخلت الشارع نحو بيتنا وفي العادة أكون مستغرقا في قراءة ومراجعة ما احفظ من القرآن

قالت زوجة عمر مقاطعة : أتحفظه يا دكتور ؟

ـ بفضل الله وحده ما زلت احفظه وأردده بعد صلاة الفجر يوميا وكثيرا قبل النوم .. المهم القصة هي على ذكر الحب أوقفني طفل دون العاشرة حسبته وقال عمو عمو هذه الرسالة لك فتعجبت منه ومنها رسالة في الشارع وتلفت حولي ؛ لأن أول ما يخطر في القلب أنها رسالة من فتاة ..وقال الولد فتاة اعطني إياها لك واعطني عشرة قروش . وفتح يده فرأيتها القروش العشرة ثم تابعته وهو يدخل بقالة في الشارع ولم اره يلتقي بفتاة ، وكنت وضعت الرسالة في جيبي وقد شغلت بالي ولما وصلت البيت صعدت لغرفة نومي حيث مكتب الدراسة والمراجعة وفتحتها بفضول : ووجدت فيها سطرا واحدا يا دكتور عمر

قال : ما هو السطر ؟

ـ نفس سؤال سلوى بطريقة أخرى ..مكتوب هل الحب حرام ؟؟؟ وثلاث علامات استفهام

صاح عمر تعجبا : يا الهي ! هل من اسم أو عنوان على الرسالة ؟

ـ هذا المدهش فعلا ! لا عنوان في الرسالة ولا أي شيء فوضعتها في الدرج وفكرت شرقا وغربا ليس لي معارف بنات حتى قريباتي علاقتي بهن مرحبا كيف الحال كيف الصحة لا اجلس معهن على انفراد أو المزح معهن هكذا تربيت

قال زوجة عمر : يبدو أن القصة لم تنته!

ضحك وقال : فعلا يا أم خالد رحمه الله .. لم يحدث شيء بعد ذلك السؤال حتى تخرجت من الجامعة يا أخ عمر وكنت استخدم كسائر العائلة صندوق بريد العائلة في أي مراسلة لصحيفة أو مجلة أو رسالة لأخ ذات مساء أعطتني أمي رسالة مغلقة وعليها عنوان وهمي لتبدو رسالة وكان فيها شبيه نفس ذلك الخط وسطر واحد فيه هل عرفت الجواب ؟؟؟ وثلا ث علامات

استفهام

ـ يا الله ! قصة عجيبة رغم بساطتها بعد اربع سنوات تسأل عن الجواب ألم تخمن من هي ؟ لابد أنها قريبة منك

ـ هذا اذا كانت أنثى ! ولم يكن احد مازحا كما خطر في بالي من الاحتمالات

ـ يمكن شاب ولكن الولد قال : أعطتني إياها فتاة

ـ صحيح ربما كتبها شاب وقال للولد إنها من فتاة للخداع والإثارة ، ولكني خمنت ورجحت أنها من فتاة كما قلت وهي قريبة من الأسرة يا صديقي بسبب معرفة رقم صندوق البريد الخاص بنا وأنني أتلقى الرسائل عليه .. ليس لي صندوق بريد خاص بشخصي

قال عمر : قرائن جيدة ولم يحدث بعد ذلك شيء

ـ لليوم لا .. أنت تسألك هل الحب حلال ؟ وانا سئلت هل الحب حرام ؟

ـ فعلا قصتك اطرف من قصتي

***

لما غادر الضيوف بعد مباركتهم لساري بتعيينه مساعدا للعميد ، ولمت الخادمة أشياء الضيافة وصعد ساري وهند لطابق النوم وتفقد الأولاد قالت هند : هل تعلم يا ساري من كتب لك الرسالة الطريفة ؟

التفت محدقا بعينيها وقال : أتعرفين من كتبها ؟! هكذا فهم الاستفهام

ـ أنا

صاح دهشا ومستنكرا : أنت ! لم افهم كيف ؟

ـ هل احتفظت بها ؟

ـ أكيد أنا احتفظ في كل قصاصة من جريدة من مجلة من رسالة ابحثي في أوراقي لعلك تجدينها وستعرفين خطك ؟ حبب إلي الاحتفاظ بكل شيء

ـ سأفعل ، ولكني لم اكتبها لك شخصيا .. والذي لفت نظري ذكر علامات الاستفهام الثلاثة

هذا من أسلوبي في كتابة الاستفهام أو علامة التعجب أن أكرر علامة الاستفهام ثلاث مرات أنا كتبتها لصديقة لي بطلب منها لجمال خطي كما زعمت .. ولم تقل لي إنها أرسلتها لك ولا احب ذكر اسمها لأنها أم ولديها أبناء

ضحك وقال: عرفت من هي ؟ هي احدى بنات عمك الشيخ .. أنا لا اعرفهن شخصيا ولا حتى بالوجه .. اعرف أنهن بنات الشيخ فقط .. وهل أنت كتبت السؤال الثاني ؟

ـ لا ، جملة هل عرفت الجواب لست أنا

ـ ستجدينهن بين ذكرياتي .. أنا احتفظت بها ؛ لأنني يومها توقعت رسالة أخرى فيها تفصيل اكثر هل هي ابنة عمك الإمام ؟

ـ نعم ، ربما هي التي سعوا لتزويجك منها بعد تخرجها من الجامعة .. جرى بيننا دردشة عن موضوع الحب وكتابة الرسائل المتبادلة بين الطالبات والطلاب .. فقالت اكتبي لي هند بخطك الجميل هل الحب حرام ؟ .. فكتبتها وأضفت تاليها علامات الاستفهام الثلاث ولم تخبرني بإرسالها لك أو لغيرك .. فنحن لم نعش مثل هذا الجو من تبادل أشرطة الكاسيت والرسائل الرومانسية والعاطفية هذا في حياتنا من العيوب والجهل

ـ هذا هو الصحيح .. سمعنا الكثير من تلك السخافات .. ولا اذكر أن احدهم تزوج من راسلها وبادلها الخطابات والجرازي وغير ذلك من الأشياء .. لقد كنت أتجنب أي مراهق يعرف بذلك الجهل واعتبره رغم صغري من قلة العقل وضعفه

ـ ونحن مثلكم كان أبي يوبخ من تفتح الراديو على أغاني عاطفية أو تجلس أمام التلفاز لمشاهدة مسلسل عن الحب والغرام وما شابه

ـ حتى كلامهم يمجه الإنسان السوي .. والأغرب أن بعض المشايخ يستحلونه بأقوال شاذة للعلماء

***

عزة

كان مكتب مساعد العميد مستقلا عن مكتب العميد في قسم مجاور له ، وكان لديه مكتب سكرتارية ومكتب طباعة وأرشيف ومراسل ، فقال المراسل وهو يفتح مكتب ساري : الدكتورة عزة سيادة الدكتور . وفتح لها ونهض ساري قائما مرحبا بها بالإشارة وأشار لها بالجلوس ، فجلست وهي تبتسم فباركت له العمل الإداري والمنصب والعودة لقسم العربية وقالت : أنا أعرفك يا دكتور ساري من أيام البكالوريوس درسنا في نفس الفترة

تمعن فيها للحظات وقال : لقد كنا عددا كبيرا في قسم اللغة العربية بين ذكر وأنثى وافترقنا بعد البكالوريوس ذهبت بريطانيا للدكتوراه فهل تذكريني بنفسك؟

ـ لا اعتقد انك ستذكرني

ـ لماذا ؟!

ـ لأنك كنت تتجنب التحديق والنظر فينا

ضحك وقال : ليس لهذا الحد يا دكتورة عزة .. أنا صحيح كنت ابتعد عن صداقة الفتيات

ـ بل اكثر من ذلك .. كنت تترك أي شاب يصاحب زميلة أو صديقة

ـ أحسنت ! لم يكن لدي وقت لمثل هذه التسليات واحتراما للبنات ولأهلهن

ـ سأذكر كيف التقينا لعلك تتذكر ؟

ـ تفضلي هناك من ينتظر كما أشار المراسل

ـ أنا جئت ارحب بك وأذكرك بنفسي .. كان لك زميل محب لك اسمه خميس .. رأيتني أصافحه واسلم عليه فابتعدت عنا

قال متذكرا ذلك الموقف : أنت تلك الفتاة التي كونت معه صداقة .. صدقي انني لا أذكرك واعرف خميسا جيدا قبل رؤيته معك ما أخباره ؟

ـ قبل إنهاء السنة الثانية ابتعدنا عن بعض .. وظللنا زملاء .. وتخرج معنا .. وكأنه اشتغل معلما في مدارس الحكومة لم نتزوج من بعض

ـ يا يا لها من ذكريات !

ـ شكرا لإصغائك

***

قررت الأسرة بيع بيت عبد المؤمن لتقسيم الميراث الشرعي ، فقبلت طاهرة العيش في فيلا ابنها ساري في غرفة خاصة بها في الطابق الأرضي ، ورحبت هند بها جدا وهي منذ ترملها وترغبها بالعيش معها ، وهي ترفض ، وسر الزوجان بذلك القرار ، وعرض البيت للبيع فامتلكه زوجيّ بنتي عبد المؤمن ، لكل منها طابق ، وقام المهندس رضا بعد البيع بفصل كل طابق عن الآخر مدخلا ومخرجا ، وكان سبب التعجيل في البيع أن انتقلت رضوى للعيش في شقة والديها فانزعجت ايمان وكثرت المشاحنات بينهن ؛ فكان البيع هو الحل، ورحلت ايمان مع أطفالها الثلاثة إلى بيت والدها مؤقتا حتى يستأجر لهم أعمامهم بيتا خاصا بهم كما حصل الاتفاق ، واصبح الأرضي لرضوى والأعلى لرحمة وله مدخله ومخرجه وحده ، ولما استقر الوضع استأجر ساري ورضا بيتا لايمان في منطقة سكن والديها لتكون قريبة منهم ، وكانت المرأة تحلم بزوج ثالث ، والأيام تمضي دون لقاء بعريس جديد ، كل من وجدوه زواج بدون ذرية .

قسم بعد البيع ميراث الأب بينهم حسب قانون الشرع ، وتنازل ساري ورضا عن حصتهما لأبناء رشيد ووضع مع أموالهما في صندوق الأيتام الرسمي .

***

بحث رضا عن قطعة قديمة في حي علي ليفعل كما فعل ساري ، وتحقق له ذلك بعد حين وأقام عليها بيتا صغيرا له ولأسرته، ولما كمل البناء ورحل اليه احب أن تعيش امه معه ، فرفض ساري القسمة فسكت رضا ، وكان هو وزوجته وأحفادها كل ليلة يزورونها ساعة من الليل ، ولم يسبب ذلك إزعاجا لساري وهند ؛ بل أبديا سعادتهما بذلك ، وكانت



طاهرة تطلب من ساري ورضا إحضار أولاد رشيد عند نهاية كل أسبوع مدرسي ليباتوا معها وكانت ايمان تماطل وتجعل من نفسها غاضبة من عمتها وشقيقة أبيها .

ووضعت هند طفلتها الثانية ومولودها الثالث بعد سنوات سكون ، وكانت طفلة سميت ميمونة وفرحت بها الأسرة كما فرحت بمن قبلها فاطمة وعبد المؤمن ، وبذلك اصبح لساري أربعة من البنين ، فقالت له عزة : احب أن أزورك في البيت لأبارك البنوتة

ـ أهلا وسهلا يا دكتورة

ـ قد احضر وحدي بدون زوجي

ـ أهلا بكما .. فزوجتي ترحب بكما ..وهي للعلم دكتورة شريعة كنت معها في كلية الشريعة

ـ قصة حب ! وضحكت

ـ ليس كما تقصدين بالحب .. والدها المحترم الزمني بالزواج منها ثم عرفت أنها ابنته قصة لطيفة

ـ سأسمعها من فمها أثناء الزيارة لا حرج في الزيارة

ـ لا حرج فكثير من الزملاء أموا البيت .. أنت أو غيرك عنده عن الملتزمين أفكار غير واضحة هو الرجل اذا لم يصافح النساء يعني التعصب والتشدد .. هي قضية ديانة يا دكتورة

ـ اعرف سمعت نقاشا حول هذه المسألة من الدكاترة ومن الطلبة يا أبا اعبد الله .. هذا ابن السيدة الإنجليزية سمعت أنها ماتت بحادث مؤلم في مختبر جامعتها

ـ رحمها الله إنجليزية كانت مسلمة .. تركت النصرانية قبل أن اعرفها واعرف أختها وزوج أختها

***

كانت ايمان تقف مع معلمة زميلة لها في مدرسة عملها فقالت الزميلة : هل ترغبين بالزواج كما سمعت من بعض المعلمات ؟

ـ أنا كما تعلمين أرملة ومطلقة .. وعندي أطفال ثلاثة .. ما القصد من فتح السيرة؟

ـ القصد يا أم أسامة هناك رجل محترم يبحث عن زوجة أرملة أو مطلقة

ـ لماذا ؟ هل هو ارمل أو مطلق ؟

ـ لا ارمل ولا مطلق يرغب بالتعدد

ـ يرغب بالتعدد فقط

ـ ليس محبة في التعدد إنما امرأته مريضة لا تصلح للمعاشرة الزوجية

ـ ومن أين عرفتيه ؟ آنت مطلقة أم أرملة ؟

ـ وانا لا أرملة ولا مطلقة .. أنا لم أتزوج أصلا .. عانس كما يقال

ـ أنا آسف

ـ لا حرج ، صحتي منعتي من الزواج ..فالرجل القريب ظن انني صالحة للزواج فحدث شقيقي عني وشقيقي حدثه عن مرضي القديم وطلب مني مساعدته بمعلمة لها تلك الصفات تقبل به والمعلمات ذكرن انك ترغبين بالزواج

ـ هو يرغب بالزواج للزواج فقط

ـ لم افهم

ـ أنا ارغب بالزواج للولادة ؛ وليس فقط لتسلية الزوج

ـ أنت صريحة!

ـ أنا لما ترملت تزوجني قريب عنده أربعة أطفال .. ورفض أن ينجب مني فكان الطلاق .. أولا اذا احب الخلفة فسأقبل به يا عزيزتي وثانيا لابد أن أراه وأتكلم معه قبل أن يحدث أي قبول شرعي .. واذا كانت الرؤية الأولية في بيتك فحسن

ـ كلامك سليم سأتحدث مع شقيقي بكل ما فصلتيه

***

قامت ايمان بزيارة لبيت زميلتها مدرسة الجغرافيا ، ولما حضر الرجل برفقة شقيق الزميلة المدرسية جلسوا في غرفة ضيوف شقيق المعلمة وزوجته وتعرف الرجل على ايمان وشرح لها

حاله ورغبته بالزواج وعدم التخلي عن أم أطفاله في حالة ضعفها ، وشرحت له ايمان رغبتها بزواج حقيقي كأي زواج شرعي عشرة وخلفة رغم أن لديها ثلاثة أطفال وأن من حقها أن تعيش مع زوج ، وذكرت أنها بالنسبة لأطفالها يمكنها تركهم لأعمامهم أو جدتهم ، وذكرت أن ذلك حصل لما تزوجت قريبها بعد ترملها ، وأن سبب طلاقها منه رفضه أن تنجب له ، وانه فقط تزوجها للمتعة الجنسية وقالت : هذا ليس بزواج . وشبهت ذلك بفتيات الملاهي الليلة فضحكوا من كلامها وقال شقيق المعلمة : كلامك صحيح فاذا لم يكن بين الزوجين ذرية فهي حياة سيئة إلا اذا كان لكل منهما عذر شرعي

قالت ايمان : اذا فكرت ورأيتني مناسبة للعيش معك كضرة بتلك الشروط البسيطة فانقل الموافقة للزميلة الغالية حتى اخبر أهلي بالصورة وتشرفنا لمتابعة التفاصيل

ـ أولادك لا إشكال عندك أن يعيشوا بعيدين عنك

ـ لا إشكال مصيرهم بعد حين البعد عني .. مصيرهم الزواج .. ولا ينفع البكاء على الأطلال يا سيد أبا باسل

***

عرضت ايمان الموضوع على أبيها وأمها فذهب والدها لإجراء لقاء مع ساري ورضا وأم رشيد شقيقته ، فقالت أم رشيد لما انتهى الرجل من عرض القضية : من حقها الزواج الحلال ومن حقها ترك الأولاد .. فهم أولادنا نحن اكثر منها .. فهم أبناء رشيد رحمه الله لكن اذا حصل فراق كما حصل سابقا يا أخي سيبقون معنا حتى يكبروا ويتعلموا هل وضحت الصورة ؟

ـ أنت لا تمانعين بتركهم عندك وعند أعمامهم

ـ لا أمانع .. فلتتزوج من الصبح المهم اذا رجعت لك مطلقة الأولاد سيبقون عندنا

ـ والبيت المستأجر

ـ يعود لصاحبه يا أخي سيعيشون مع عمهم ساري كما عاشوا من قبل

ـ أين ساري ؟ لم يحضر للسلام علي .. زعلان

ـ ساري لا يزعل من احد .. لم يرجع من الجامعة ؛ كأن هناك زميلا لهم توفاه الله إلى رحمته وأما رضا فهو في بيت عمه المريض .. وكلامي يمشي على الجميع وها هي تسمع

رحبت هند بخال زوجها من جديد وقالت : أم رشيد أمنا جميعا وكلامها لا يجادل فيه يا خال

ـ أميرة أميرة يا ابنتي ! ووالدك رجل فاضل سلمي عليه وعلى والدتك سأعطيها الإذن بالزواج لعلها تسلك هذه المرة ؛ ربما الغريب احسن من القريب

ـ كله نصيب وقدر يا أخي .. الف مبارك لها ولكم

***

تقبل ساري كلمات امه نحو أبناء أخيه بكل رضا وسرور وقال : لولا أنها أمهم لأصررت أن يبقوا معنا .. فابنة أخيك امرأة كما يقال غير راكزة .. لما سكنت رضوى معك اعتبرتها ضرة لها وهي لها أحقية في منزل أبيها اكثر منها .. نتمنى أن يثبت زواجها ويحقق لها زوجها الثالث ما تصبو اليه من خلفة وذرية ؛ كما زعمت أنها طلقت حاتما من اجل تلك الغاية .. ما وظيفة الزوج الجديد ؟

ـ لم اسأل ، ولا يهمنا ذلك نقول الله يستر عليها .. الرجل فهمت من أخي أن زوجته عليلة .. فمن اجل ذلك يرغب بالزواج عليها ليس رغبة بالتعدد والسنة

ـ نتمنى لها التوفيق متى سيعود الأولاد ؟

ـ هم كما تعلم في مدرسة والدك العزيز رحمه الله .. لن يؤثر عليهم الانتقال من بيت لآخر وعليك أن تجعلهم في عيونك يا ساري لن ابقى لهم

ـ أطال الله في عمرك .. سأستقبل الليلة ضيفة تعمل معي في القسم يا هند دكتورة مثلي

ـ أهلا وسهلا بها وقد يزورونا الليلة عمر وزوجته الإعلامية أم خالد لهم رغبة بالدردشة مع والدة الجميع

***

## عمر وعزة

اقبل عمر وأم خالد معهم وبصحبتهم امه راغبة بالجلوس والثرثرة مع أم رشيد ، فجلس ساري وعمر في غرفة الضيوف وجلست النساء في صالون المنزل ، وبعد وقت يسير قدمت عزة جابر ومعها فتاة صغيرة لما رأت عمر كأنها تفاجأت وقالت : عمر أنت هنا ؟

قال عمر : بل أنت هنا ؟

قالت ضاحكة ومفسرة : الدكتور رئيسي في القسم وأنت هل هو رئيسك؟

ـ جاري وصديقي من أيام الكلية وأنت!

ـ أنا عرفته من أيام الكلية؛ ولكنه لا يكلم البنات مثل اليوم

ضحك ساري وحضرت أم خالد وهند ترحبان بالضيفة وتفاجأت أم خالد بعزة وقالت موضحة معرفتها بها : كانت تظهر معنا على شاشة التلفزيون في البرامج الثقافية والعربية دكتور ساري

فقال عمر موضحا : طلعت دارسة مع ساري في نفس القسم

وروت عزة بعد التعريف بابنتها روضة التي انتقلت إلى غرفة الأطفال قصة ساري وموقفه منها لما رآها تصافح صديقها في الجامعة وفي القسم خميس

فقال عمر : تعرفت عليه لم يكن نبيلا يا عزة !

ـ لا يعرف الشخص من لقاء أو لقاءين كان يحب مصداقة الفتيات وأمام ساري يتظاهر بالزاهد فيهن .. أنا عرفته عن طريق زميلة عرفته قبلي وزعم لي أشياء لا حاجة لذكرها ، ثم تركته كزميل مطلع السنة الثانية ، لم يحدث بيننا شيء قبيح يا دكتور

قال ساري : أنا لم يكن يهمني أي علاقة بين شاب وشابة في جو مختلط ، فلن أحساب الناس لكن كنت لا احب العبث مع الفتيات ، ولا احب من يمشي معي أن يفعل ذلك سيجلب لنا الشبهة كما يقال

قال عمر : الدكتور يا دكتورة عنده مبادئ منذ صغره يلتزم بها .. هكذا رباه العم عبد المؤمن

رحمه الله

قالت : وأنت!

ـ أنا ابن هذا الحي منذ الطفولة ، كنت واخي ناصرا وأبي نزور شارعهم في حي السفاح احد أحياء شارع سيدو عدنان لنا عمة هناك ، ونصلي في مسجدهم فعرفه أحي الأكبر اكثر مني.. كان له أصحاب في المدرسة والشارع سوى العمة وأولادها ، ثم التقيته في كلية الآداب كطالب لغة ، أما أنت فمن خلال التلفزيون وبرامج الثقافة واللغة

ـ وانا اليوم هنا يا دكتور للتهنئة المتأخرة بمنصبه في مساعد عميد ، وهو لم يعرفني لما اجتمع بهيئة التدريس ، فادركت انني لم اترك انطباعا وصورة عنده ، فذهبت للمكتب وهنأته ولما ذكرته بخميس وموقفه منا ذكرني ..هذه قصتي مع أبي عبد الله يا دكتورة هند ..راغب بسماع قصة معرفتك وزواجك برئيسنا . وضحكوا

فقالت هند : قصتي قصيرة تعرفها أم خالد وعمر .. والدي صديق عمر لوالده .. وأمي كذلك ونحن جيران حي وشارع .. ووالديّ أطباء فلما تطلقت اصر والدي على حماي أن يزوج ابنه الأرمل العائد من بريطانيا بي

ـ ولماذا تركت زوجك الأول ؟

ـ لا ينجب تزوجته أثناء دراسة الماجستير ، وكان غير مهتم بالعلاج فتطلقت ، وهو ترمل في بريطانيا كما يعرف الأحباب فقبل الدكتور بي قرينة يا دكتورة وانا عملت معه في قسم الشريعة وكانت معرفتنا بحكم الوظيفة

ـ شكرا يا حضرة الدكتورة وشكرا عمر وأم خالد هذا سبب مجيىء لبيت الدكتور للتهنئة وها نحن نلتقي بهذه الوجوه الطيبة

قدمت الخادمة أثناء هذه الدردشة الشاي والحلوى ثم قالت عزة : اسمح لي يا دكتور بالسلام على الوالدات والانصراف

قال عمر مداعبا : السهرة في أولها

ـ لا يمل من سادة مثلكم زوجي وحده في البيت

***

قبل زواج ايمان ذهب ساري واحضر أبناء أخيه لبيته فهم يعرفونه حق المعرفة وعاشوا فيه ردحا من الزمن ، وكانوا يعاملون كما عوملوا سابقا بحب وإخاء وعطف من الجميع ، وتزوجت أمهم ايمان ، وتم تفريغ الشقة وبيع ما بيع وتصدق بما تصدق ، ورفض أسامه واختاه حضور عرس أمهم الثالث ولم يهتموا بزعلها وغضبها وانتقلت لبيت زوجها بعد حفل بسيط كما العادة في زواج المطلقة والأرملة غالبا .

حضرت خالة عبد الله لزيارته مع روبرت وفرحت بنضوج ابن أختها وقد اصبح شابا صغيرا سيدخل المرحلة الثانوية في العام الدراسي القادم وشجعوه بعد الثانوية الدراسة في بريطانيا فأموال امه تنتظره فقال سعيدا : لما اكمل المدرسة نفكر بجد

قال روبرت سعيدا : هل تحسن الصلاة يا عبد الله ؟

ـ هذه الصلاة اهم عمل لنا في البيت أنا وأسامه واختاه

ـ تذهبون للجامع

قال : كثيرا .. يوجد مسجد قريبا منا ، ولكن نذهب مع أبي عندما يذهب

قالت اديث : أنا مشتاقة لك يا عبد الله

ـ وأنا يا خالتي لماذا تبكين ؟

أجاب روبرت : تذكرت امك إدنا رحمها الله

قالت : نعم ذكرت امك ! آه لو عاشت وهي تراك فتى يافعا لسعدت بك كانت تكتب لي عن حبها لك وأنت طفل رضيع

ـ وانا احبها وادعو لها بالرحمة دائما

ـ رائع رائع يا حبيبي ! ما رايك بقضاء عطلة الصيف معنا أنت وأسامة

ـ الأمر يعود لأبي

ـ سنحدث أباك بذلك

دخلت هند وحماتها يرحبان بالزوار وقالت الطبيبة : أهلا وسهلا انشغلنا عنكم قليلا كانت حفيدتي مريضة

قالت اديث : قال عبد الله لنا ذلك .. فها هو يا أم رشيد صار شابا قوي البنية

ـ الحمد لله هذا من فضل الله علينا

قالت : عرضت عليه أن يقضي الصيف معنا هو وأسامة

قالت هند : وماذا قال ؟

قالت : قال سنحدث أبي بذلك

قالت هند : لك رغبة إذن بزيارة بلد امك يا عبد الله

قال : ها هو صوت سيارة أبي الحبيب رجع من السوق

بعد دقائق دخل ساري يرحب بضيفه احر ترحيب وتناولوا العشاء وشربوا الشاي وسهروا سهرة ممتعة ، ثم انصرف الزوجان إلى فندق الإقامة ورفضوا المبيت بفيلا ساري الجميلة

***

لم يمانع ساري برحلة عبد الله وأسامة لبريطانيا لكن المشكلة من سيرافقهما إليها فقال روبرت : كم بقي للامتحانات المدرسية ؟

قالت هند : حوالي عشرين يوما

قالت اديث : سنبقى هنا يا روبرت ويذهبا معنا وسيمكثان شهرا على الأكثر دكتور ساري سأقوم بهما بجولة ونزهات جميلة يا روبرت نزور بعض الحدائق المهمة ومتاحف في لندن وويلز وبعض القصور الأثرية والتاريخية ساجعلهما يتمتعان بزيارتهما تلك يا دكتور ساري .. واحب أن أعلمك انني وصيت له بأغلب ثروتي يا ساري فهو اقرب وريث لي عندنا الوصية اهم من الميراث .. عبد الله جواز سفره إنجليزي حسب ما اذكر

قال ساري : لم نعمل له جواز وطني لم يحتج اليه سأقوم بعمل جواز لابن أخي ـ إن شاء الله ـ

وأين ستقضيان الأيام المتبقية

ـ نحن لنا أصدقاء كثر هنا يا دكتور .. فلروبرت أصدقاء يعملون في مركز تعليم اللغة وأصدقاء في السفارة .. والفندق مريح جدا وها انتم

قال : يا ليتكم تعيشون معنا في هذا البيت.. ألم اعش في بيت الدكتور إسحاق سنوات ؟

قالت هند : يسرنا ذلك يا دكتور روبرت

قال روبرت : عيشنا في الفندق يعطينا حرية في الذهاب والإياب ومكثنا مؤقت ليس كمثلك يا سيد ساري

قال ساري : على راحتكم ولو شرفتمونا كل مساء فأهلا وسهلا بكم

ـ عسانا نفعل ذلك.. فانتم أهل لنا ومن اغلى الأصدقاء الذين عرفناهم في حياتنا

***

سافر عبد الله وأسامة برفقة روبرت واديث إلى بلاد الضباب وتقلب الطقس بين ساعة وأخرى كما يقال ، وكما وعدت اديث فقد رتبت لهم زيارات يومية لاماكن مسلية وممتعة ما بين متحف وحديقة وقصر .

***

*تشمل أهم الأماكن السياحية في بريطانيا معالم لندن الشهيرة مثل قصر باكنغهام، برج لندن، ساعة بيج بن، عين لندن ، وشارع أكسفورد ، بالإضافة إلى مواقع طبيعية مثل حدائق كيو ، وبحيرة لوخ نيس في اسكتلندا .*



*في لندن : قصر باكنغهام: المقر الرسمي للعائلة المالكة البريطانية.*

*برج لندن: معلم تاريخي شهير يعود تاريخ إنشائه إلى القرن الحادي عشر.*

*ساعة بيج بن: رمز بارز للعاصمة البريطانية. عين لندن : عجلة عملاقة توفر مناظر بانورامية*

*للمدينة . شارع أكسفورد: أحد أشهر شوارع التسوق في العالم، يضم متاجر عالمية ومحلية . حدائق كيو النباتية: مختبر نباتي علمي يضم آلاف الأنواع النباتية . بحيرة لوخ نيس وإينفيرنيس (اسكتلندا): بحيرة شهيرة معروفة بمناظرها الطبيعية وأسطورة وحش لوخ نيس . حديقة ليك ديستركت : ثاني أكبر حديقة في المملكة المتحدة، وتضم بحيرات وجبال رائعة .*

***

لما علمت ايمان بسفر ابنها أسامة إلى لندن أصابها غضب وسخط وجنون وجعلت من نفسها محروقة عليه وتشاجرت مع أبيها بسبب ذلك ، وأخذها إلى عمتها طاهرة التي غضبت منها وقالت لها : أنت التي تركتيهم معنا ، وهل كلما يذهب احدهم في مشوار نتصل بك لتسمحين لنا .. هما أولادنا كما هم أولادك وهم في أيدي أمينة خالة عبد الله وزوجها

صاحت : لا يجوز سفره بدون إذن مني أنا امه

ـ أنت امه ولماذا تطاردين الرجال منذ ترملت ؟!

صرخت معترضة السؤال : ازني وأقود احسن

ـ لست أول أرملة صغيرة في العالم .. أنا كان رشيد ـ رحمه الله ـ يشكو كثيرا منك ؛ لكنك بنت أخي هذا ـ وأشارت لثابت ـ لا تفكري بأننا لانعرف عجرفتك مع رشيد وكذا مرة قلت لأبيك انصح ابنتك بحسن الخلق

ـ رشيد والله أخذه متى سيرجع ابني؟ زوجي قبل أن يعيشوا معي

ـ لأنك عاجزة عن الحمل .. لا تفكري الناس لا تعرف

ـ أنا أتعالج وهو يتعالج متى سيعود الولد؟

ـ رحلتهما شهر يا ثابت وهم بخير وصحة جيدة .. وسيذهب رضا للإتيان بهما ويتفرج هو الآخر على اشهر معالم لندن .. وفكرة اخذ الأولاد لا نقبل أن يعيش ابننا وبناتنا عند غريب عن العائلة يا ثابت .. أنت تركت رعايتهم لنا ولم يعد أسامة صغيرا

ـ هم أولادي

ـ وأنا لم اقل انهم ليسوا أولادك ؛ ولكنهم أولادنا مثلك .. خذ بنتك يا ثابت

***

رجع أسامة وعبدالله بعد شهر كما خطط لهما ، وقد حملا تذكارات لندنية وهدايا لكل الأسرة وكانا سعيدين بهده الرحلة ؛ خاصة أسامة فهي أول مرة يرى لندن التي يسمع بها من رفاق المدرسة ومن الكتب والصحف ، فأسامة كان طالبا في المرحلة الثانوية السنة الأولى عندما سافر وكان معجبا بخالة عبد الله وزوجها ، وكان مطلعا على قصة زواج عمه من أم عبد الله أثناء دراسته العليا في بريطانيا ، وكان يحدث جدته بكل ما يتذكر مما شاهد من معالم لندن وطعام لندن ونساء لندن وأسواق لندن ، وكانت جدته مسرورة من سعة معرفته بما يشاهد ويرى ، ثم جاءت امه لزيارته والاطمئنان عليه وعلى صحته وبعد عناق وتقبيل قالت : كيف تسافر ولا تتصل بي مودعا ؟

فقال متهكما : نسيت ولا اعرف رقم منزل زوجك ولم اهتم بمعرفته

ـ أنت لا تحبني ؛ لعلك نسيت انني امك

ـ لم انس انك أمي .. وستبقين أمي لست طفلا يا أمي

ـ اعرف انك أنهيت الأول الثانوي

ـ إذن أصبحت رجلا ويمكنني اخذ أي قرار بنفسي

ـ هذا ليس كلامه يا عمتي

نظرتها عمتها طاهرة وقالت بحدة : ابنك فعلا كبر يا ايمان فتحدثي معه على انه شاب كبير ..لم يعد عيلا صغيرا .. وهو مجتهد في المدرسة ومن الأوائل وهو يعرف مصلحته .. وهذا الرحلة كانت فرصة لتزداد معرفته بالعالم .. هل حملت من زواجك ؟ لليوم لم نسمع

ـ لماذا تحقدين عليّ ؟ لأني لم اصبر على موت ابنك .. هل تريدينني أن ابقى أرملة ؟

ـ أنت رميت أولادك يا سيدة وقبل أن تكملي سنة معهم بعتيهم .. بناتك كن بحاجة لرعايتك قبل التسرع بالزواج

ـ هل ستذهب معي يا أسامة جدتك لا تحبني ولا تطيق رؤيتي ؟

ـ لن اذهب ولا ارغب بلقاء زوجك مهما فعلت سأبقى مع جدتي

ـ زوجي يرحب بعيشكم معي

صرخ غاضبا : وانا لا ارحب ولا أطيق العيش معكم ومع أولاده

ـ ماذا فعلت لابنتي ؟

ضحكت عمتها وقالت : ماذا سنفعل يا بنت ثابت ؟ الأبناء سيكملون حياتهم معي ونحن سنعلمهم ونزوجهم .. اجتهدي لتلدي لزوجك قبل أن يلقي بك في الشارع

ـ زوجي لا يريد المزيد من الأولاد أنا التي احلم بذلك .. أين أخواتك ؟

ـ خرجوا من البيت لما علموا انك آتية لتسلمي عليّ .. وأنت كنت تعلمين انني سأسافر وتعملين من نفسك جاهلة ..كل الأقارب علموا بأني سأرافق عبد الله لزيارة خالته وزوجها

فقالت : كنت مشغولة في أمور المدرسة وجداول العلامات

ـ زيارتي لا تستغرق الكثير من الوقت ، ثم حضرت بعد سفري تزعمين انك لا تعلمين وتشاجرت مع جدتي

ـ لن تذهب معي

ـ أين اذهب ؟

ـ ابو باسل سيعمل لك وليمة بمناسبة عودتك

ـ شكرا له إن صح ذلك

ـ أين البنات ؟

ـ قلت لك خرجن

ـ إلى أين ؟

ـ لا اعلم

غادرت المنزل ساخطة وناقمة على عمتها وأسرة عمتها وربما ابنها وبناتها .

لما عادت لبيت أبي باسل زوجها الأخير وعلم أن ابنها رفض المجيء معها ويرفض دعوة الغداء وأن بناتها لم يكن في بيت جدتهن ويرفضن رؤيتها قال : لا ادري ما أقول لك ! من الطبيعي أن يرفض الأيتام زواج أمهم ، فهم لا يقبلون أن يروا بديلا لهم عن أبيهم.. هذا امر طبيعي علاجه الأيام يا أم أسامة .. وانا سأتوقف عن مراجعة الأطباء وتحاليلهم وفحوصهم أصبحت سحرية للناس والأهل .. فيجب أن تكفي أيضا ولندع الأمر للخالق وانا استسلمت لأرائك من اجل دوام حياتنا الزوجية ولتتيقني رغبتي بدوام العشرة بيننا

ـ هل تلمح بالطلاق؟

ـ لا الح به .. الح بأن نهدأ ونسلم الأمر لله

ـ اذا كنت ترغب فيه فلا مانع منه

ـ لا ارغب فيه .. ارغب بالسكون والهدوء

ـ لكني تزوجتك من اجل الخلفة

ـ وانا قبلت ؛ ليس عندي مانع أن اخلف أما أن يصير مصير حياتي الخلفة فلا

ـ خلال سنة أخرى اذا لم يحصل حمل .. فالفراق هو الحل

ـ ولماذا سنة ؟! فلنباشر فيه من الآن

ـ لن اطلب منك أي فحص أو تحليل أنا سأهتم بنفسي

***

اتصلت عزة جابر بزوجة عمر وسألتها عن عمر فلما طمأنتها قالت : عندي خبر له جميل .. وانا اعرف انه لن ينشر في التلفزيون حاليا

ـ خبر لا ينشر في التلفزيون

ـ يعني لا يمكنك بثه للجمهور قبل تحققه

ـ ما هو ؟

ـ عندك عمر

ـ يجلس مع امه وشقيقه العائد من السفر

ـ حسنا !لما يفرغ ليتصل بي ؛ ليكون من أوائل من يسمعون به

ـ شوقتيني يا دكتورة لسماعه

ـ اصبري اصبري إلى اللقاء

عندما انصرف ناصر بعد جلوسهما مع أمهما حدثته عن اتصال عزة والخبر الذي لا ينشر في التلفزيون ، استغرب الدكتور عمر الكلام ، واسرع بالاتصال بعزة وبعد المجاملات التقليدية

قالت : صاحبك سيترك كلية الآداب

قال ضاحكا : تقصدين ساريا أين سيذهب؟

ـ سيذهب إلى مركز رفيع ومقام رفيع .. هل حدثك عنه ؟

ـ لي أسبوع لم أره .. أخي عاد من الخليج بزيارة .. فلم يحدث بيننا أي لقاء إلا انه ذهب معي لتحية ناصر وقتا قصيرا .. ما الخبر والمقام الرفيع؟

ـ صاحبك ستحمله الحكومة حقيبة المعارف

صاح جذلا : معقول يا عزة ساري سيكون وزيرا!

ـ هكذا الإشاعات في الكلية .. فعمله كمساعد عميد كان تدريبا للوزارة

ـ والله انه يستحق ذلك اذا صح الخبر الذي لا يبث قبل تحققه

ـ أحببت أن أفرحك ، لم تشكل الوازرة بعد .. قد يتغير القرار ؛ لكنه متداول في الإدارة بشكل مرجح

ـ خبر فعلا يسعد القلب .. منذ عرفته وأنا اقدره واحترمه .. وهو يحترم الصداقة والعشرة وهو طراز رفيع من الثقافة والمعرفة

ـ ولا تنس شهادة بريطانيا دكتوراه من بريطانيا

ـ صحيح

ـ سلم على أم خالد وقل لها

ـ إنها تسمع !

***

كان أسرة ساري وامه بزيارة طبية لوالد هند بعد خروجه من المستشفى ، فبعد معانقة المريض والدعاء قال عبد الرحمن : هل صحيح ما سربته لنا هند ؟

نظر ساري لزوجته فضحكت فقالت طاهرة : صحيح يا أبا ناجح صحيح !

قال الطبيب : والله اني فرح لك جدا يا دكتور ساري ! وأنت اكبر من منصب الوزير

ـ أشكرك يا عمي ! نعم وافقت على استلام المنصب هذا .. هناك خطط تحديث للنظام التربوي وانا كما تعلم درست في بريطانيا ، وكانت دراستي حول النظام التربوي في بريطانيا من خلال الآدب الإنجليزي ..كيف أثر الآدب الإنجليزي على نظام التربية ؟ وبيان سلبياته وإيجابياته فهناك تخطيط للاتجاه نحو النظام التربوي الإنجليزي بوضوح اكثر .. برنامج تحت التجريب لمدة عقد من الزمان

ـ وهل نظامنا التربوي لم يكن إنجليزيا بسبب الاستعمار الإنجليزي لبلادنا

ـ مختلط نظامنا التعليمي مختلط بين فرنسي وإنجليزي وأمريكي كل منهج له إيجابياته وسلبياته فهم الحضارة اليوم ..

ـ والإسلام

ـ الإسلام حسب فهمي منهجه يختلف عن مناهج وأساليب الغرب ؛ ولكنه يستوعب ذلك بدون مشاكل وتعقيدات ؛ فكما قبلت شعوبنا فكرة الديمقراطية ؛ قبلنا أساليب تدريسهم بمسحة ولمسة إسلامية .. لا تستطيع دولة تابعة للغرب الاستقلال بمنهج مستقل مثلا الفيزياء مادة غربية فلم يكن في المدارس الإسلامية القديمة فيزياء بصورة العصر ومثلها الكيمياء فكل هذه المناهج مستوردة ومترجمة ونقوم بعملية تلفيق لها .. أما في علوم الإسلام واللغة وفروعها نحن ابدع منهم وافضل ؛ لكن هذا يحتاج لحكم إسلامي صرف حتى يطبق .. والعلم الطبيعي والطب حق لكل شعوب الأرض ها هم أطباء جامعاتنا يتفوقون وينجحون في أمريكا وكندا

وأوروبا

***

قال ناصر وهما في زيارة لبيت أم رشيد وساري : قال عمر خبرا اسعدني يا أبا عبد الله

قال ساري : أخ فاضل أبو خالد وجار حسن .. قصدك خبر الوزارة .. هو صحيح

قال عمر مستوضحا : لماذا تأخر تشكيل وزارة الدكتور وليد ؟ .. فنحن في التلفاز في حالة طوارئ

ـ السبب بسيط هناك وزارات حساسة كما نقول أو سيادية اكثر من غيرها ، لم تحسم قادتها فلان لا فلان .. ولكن الأمور ستحسم في النهاية

قال ناصر : والله جميل أن نصبح جيران وأصدقاء الوزير !

ضحك ساري : في .. في الشارع كذا وزير

قال عمر : معروف ؛ ولكنهم زمان خلصت وزاراتهم .. نحن أصدقاء وأصحاب وجيران الوزير .. ها هم يبنون كوخ الحراسة

ضحك ساري وقال : مصرون على ذلك ، وزير بدون سائق وحراسة مرفوض امنيا .. هو محطة استراحة منام وحمام ومطبخ صغير ولما ينتنه الأمر يفككك ويتلف أو ينقل لمكان آخر

قال ناصر : كل أهل الشارع هنا ، وحتى شارع عثمان فرحون لك يا دكتور ، لا يكاد بعضهم يصدق ذلك ..يقولون الشاب الخجول الذي كان يصلي فينا التراويح يصبح وزيرا

ـ ولا أنا فكرت بذلك يوما ، ولما ذهبت للدراسة في إنكلترا يا ناصر ذكرت اكثر من مرة لعمر قصة رحلتني للندن .. عندما صادقت معلم الإنجليزية روبرت في المركز واحبني الرجل ورغب بمعرفة المزيد عن الإسلام فصرت اقرأ له بعض الكتب المهمة ثم شجعني لدراسة الدكتوراه في بريطانيا والزواج من أخت زوجته المسلمة .

قال عمر : الأحداث يصنعها القدر بطرق لم يفهمها الواحد إلا بعد حدوثها فترتيبها رباني

قال ناصر : لله الأمر من قبل ومن بعد .. نتمنى لك التوفيق حقيقة في القيام بواجبك نحو نصح

الأجيال المعاصرة فالتكنولوجيا والإلكترونيات غمرت العالم

ـ نحن قبل الترشيح للوزارة قامت الحكومة التي ستستقيل بورشات عمل وخاصة المعارف لرفع سوية التعليم في بلدنا ودارت مناقشات وأفكار من هنا ومن هناك ووضعت الخطوط العريضة لعقد جديد من المناهج .. والتجربة العملية هي التي تبين الإيجابيات والسلبيات الكلام النظري يبقى مجرد كلام حتى يصير على ارض الواقع

قال عمر: ارض الواقع هو الذي يظهر الفشل أو النجاح .. واحيانا يا صديقي يتعمد الفشل لأسباب نفسية وشخصية

قال ناصر : هذا وارد ونلاحظه في الشركات والمؤسسات العامة والخاصة .. صراع بين الأطراف

قال ساري : الحسد والغيرة المذمومة ومساوئ النفوس يهمها الفشل .. والله المستعان على تحقيق المطلوب والتوفيق بيده وحده

***

هند عادت للعمل لما استطاعت ابنتها ميمونة المشي وقضاء الحاجة وحدها ، وسمح لها الدكتور بالعودة كما رغبت ، وذات ليلة اتصلت أمها معلنة لها عن وفاة والدها في المستشفى إثر أزمة قلبية متوقعة بين أفراد الأسرة ، فأيقظت ساريا مخبرة له بالأمر ، فعانقها معزيا وذرف الدموع فعمه كان له نعم الوالد ونعم العم ونعم الصديق لأبيه فلما تمالك نفسه نزل إلى حيث امه واخبرها بالأمر وانه سيذهب وهند للمستشفى فقالت : دعني اعزي هندا واتصل بأخيك رضا جاءت هند وتلقت العزاء من حماتها وكان ساري يتصل برضا الذي اخذ اسم المستشفى وقال : سألحق بكم رحم الله العم عبد الرحمن

ركبت هند بجوار زوجها وانطلقت السيارة لمستشفى الوفاة ؛ حيث وجد حماته وأولادها وبناتها وأخوة المرحوم الأحياء ذكورا وإناثا والكل يواسي بعضه بعضا ، فالموت له هيبته ومصيبته وسيتم تغسيل الميت في المستشفى كما هي التقاليد اليوم ، ويكفن ، ثم ينقل لبيته لإلقاء نظرة الوداع ليذهب به لمسجد عثمان للصلاة عليه ، ثم ينقل إلى مقبرة حي السفاح .

وقبل صلاة الظهر نقل الجسد الميت لبيت عبد الرحمن ؛ حيث القي عليه نظرة الوداع ، وتكون بكشف الوجه للناظرين والمعتبرين ، وقرب الصلاة ظهرا سجي في مؤخرة المسجد ، وجلس حوله لفيف من الأقارب والمعارف ، ثم أقيمت صلاة الظهر بعد الآذان والسنة ، ولما انتهت الصلاة أعطي المصلون فرصة لصلاة سنة الظهر البعدية ، وحملت الجنازة ووضعت أمام الإمام وكان هو ابن الشيخ السابق الذي رحل عن الدنيا من سنوات قليلة ، وصلى الرجل الشيخ على عمه اربع تكبيرات وأدعية خاصة بصلاة الجنازة ، ثم حمل إلى سيارة خاصة نقلته إلى مقبرة الحي من سنوات طويلة .. فالمقبرة والمسجد من معالم الأحياء الإسلامية ، فهما بحاجة إليهما مدى العمر ، وبعد الدفن والاستغفار والدعاء ينتقل أهل الميت لتناول طعاما عن روحه ومواساة للأقربين ، ثم ينتقلون لبيت العزاء الذي عادة يستمر لثلاثة أيام ، ومن يتخلف عن الأيام الثلاثة يذهب للعزاء في بيت الميت خاصة الأقربين الذين لم تسمح أوقاتهم أم بيت العزاء .

عرضت هند على أمها العيش معها ومع العمة أم رشيد ورغبة من ساري ؛ لكن الأبناء رفضوا الاقتراح وأن زوجاتهم ستهتم بها وبرعايتها ، واذا حصل تقصير نفكر بذلك ، فلزمت هند الصمت فناجح وأسرته يعيشون في عمارة الأب وحتى أن ناجحا ما زال يمارس التطبيب في عيادة الوالد التي تقع تحت بيت السكن وحيث أمامها شارع سيدو عدنان ؟

***

كانت عزة في مكتب مساعد العميد الدكتور ساري فقالت : هل ستبقى معنا ؟

قال : لن ابقى بشكل كامل .. سأتابع طلبة الدراسة العليا أما محاضرات المستجدين فلا مجال لها سأكون في مكتب الوزارة .. وعندما تنتهي إعارتي للوزارة قد أعود للعمل هنا .. فلا يستقيل المعلم إلا بالعجز أو الموت

ـ أنت يا دكتور محترم !وتبسط الحياة ..كيف الدكتورة هند سمعت من أم خالد بعودتها للتدريس وأنهت مهمة الحضانة ؟

ـ هل علمت بوفاة والدها ؟

ـ أخبرتني الإعلامية أم خالد وذهبت لبيت عزاء النساء

ـ لابد أنها نسيت ذكر ذلك لي .. كل الشكر لك يا دكتورة

ـ متى سيصدر بيان التشكيل ؟

ـ إما الليلة مع نشرة أخبار المساء أو غدا إذا شاء الله

ـ مبارك يا سيدي وهل ستعمل حفل تهنئه ؟

ـ لابد من ذلك .. وإلا لو على نفسي لامتنعت ؛ لكن سيأم الناس الجيران وزملاء الشريعة والعربية مكان المباركة وسيكون في صالة نادي في حي السفاح لمدة ليلتين مساء سيكون

ـ أتم الله المهمة وأعانك الله .. هل من مساعد جديد ؟

ـ سأكشف سرا ، وقد لا يحصل قد يتغير القرار في اللحظة الأخيرة

ـ فهمت تقصد أن أكون أنا

ـ نعم ، ستصبحين مساعدة العميد للأقدمية ولحيوتك وترشيحي لك

ـ شكرا لك أبكيتني يا دكتور !

ـ أنت جيدة ليس مجاملة يا أم روضة ! ليس عندك ذكور

ـ ليس عندي إلا تلك الفتاة التي زرت بيتك بها أول مرة .. زوجي بعد ولادتها أصيب بحادث سبب له شللا

ـ لا إله إلا الله .. يجب أن نتعرف عليه

ـ هو يحب ذلك

ـ سأفعل قريبا .. أنا يعجبني صبر الأمهات على مآسي أزواجهن

***

أعلنت ليلا الساعة التاسعة أسماء وزراء الحكومة الجديدة بقيادة الدكتور وليد أمام زعيم الدولة وتم القسم الوزاري ، وكان ساري عبد المؤمن احدهم ، ولما رات أم رشيد الصورة في التلفزيون وابنها يقسم قسم الوزارة ذرفت الدموع وشهقت وبكت وقال لمن حولها : تمنيت أن يكون

والد ساري يجلس بيننا ؛ ليرى ثمرة جهاده وتعبه على تربيتكم والإحسان إليكم رحمك ربي يا عبد المؤمن

فقال الجميع : آمين ! مبارك يا أمي لحظة لم نحلم بها ولم نكن نتخيلها

تمت القصة بفضل الله تعالى

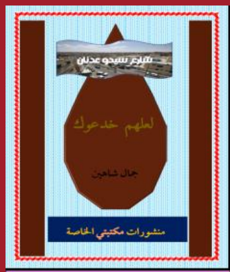


## المحتويات


{هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}

# قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

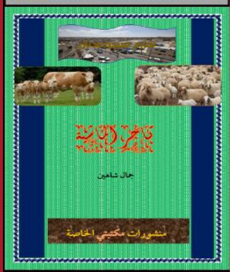




٢
غربة مهرب

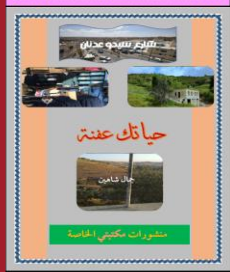
٣
زوجتك ابنتي

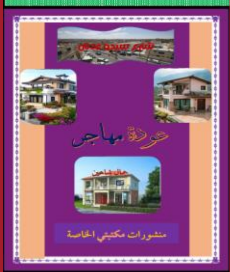




٤
تاجر الماشية

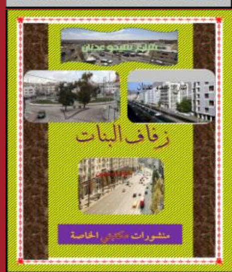
٥
حياتك عفنة

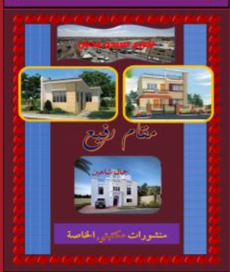




٦
عودة مهاجر

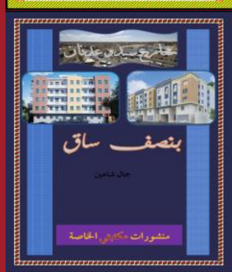
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

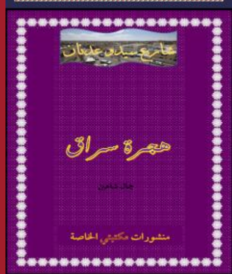
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق



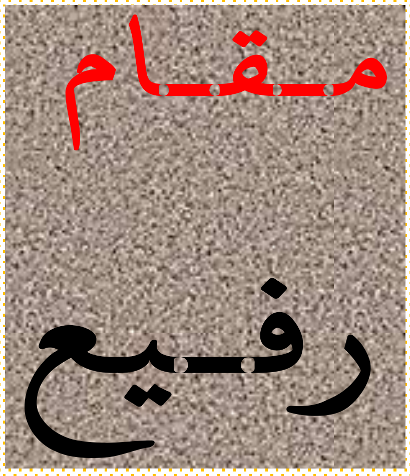


١٢
عضو البرلمان

# شارع سيدو عدنان

## ٨

القدر مكتوب هو علم لله وخلق لله ، لم افكر أو احلم ساعة بأن أكون وزيرا للمعارف والتعليم في يوم ما . . أنا ابن أسرة محافظة كما نوصف اليوم أي أسرة متدينة تحافظ على شعائر الدين وتقاليده وعاداته . . كنت مبتعدا عن صغائر الأمور والعلاقات النسوية منذ وعيت حياتي




المدرسة الكتاب المسجد البيت . . فضلت الالتحاق بكلية اللغة العربية وكان لي ذلك في جامعة مهمة في بلدنا جامعة الصديق أبي بكر . . استمتعت بدراسة العلم ، لم اهتم بأي علاقة مع فتاة جامعية سواء جادا أم لاهيا . . تحمست لتقوية نفسي بتعلم لغة الإنجليز فهي لغة عالمية ومهمة اليوم ؛ وكان من نتيجة ذلك دراسة الدكتوراه في بريطانيا في الأدب التربوي من خلال الأدب الإنجليزي . . ونتج عن الغربة الزواج من امرأة إنجليزية مسلمة أنجبت لي عبد الله ثم ماتت بحادث جامعي ، وعدت للوطن بدونها ، ثم تزوجت ابنة صديق لابي بضغط من أبي ، وبعد وفاة أبي وأبيها عينت وزيرا . . والفضل لله يؤتيه من يشاء . . أخوكم ساري عبد المؤمن

٢٠٢٥